

سِمَات كتب المناوئين للدعوة السلفية - عرض ونقد

Features of books against the Salafist call - review and criticism

إعداد

محمد الثاني عبد الرفيع

Muhammad El_thany Abdul Rafi

جامعة الملك سعود - كلية التربية - قسم الدراسات الإسلامية

مسار العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة

Doi: 10.21608/jasis.2022.264463

استلام البحث	٢ / ٨ / ٢٠٢٢
قبول البحث	٢٠ / ٨ / ٢٠٢٢

عبد الرفيع ، محمد الثاني (٢٠٢٢). سِمَات كتب المناوئين للدعوة السلفية - عرض ونقد. **المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية**، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، مج (٦)،ع (٢١)، أكتوبر ، ص ص ٧٥- ١٢٠.

http://jasis.journals.ekb.eg

سِمَات كتب المناوئين للدعوة السلفية ـ عرض ونقد

المستخلص:

إنّ هذا الكمّ الهائل من الكتب التي ألّفها المعارضون للدعوة السلفية ـ منذ ظهور دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى وقتنا الحاضر ـ لهو خير شاهد على حجم العداوة التي واجهتها، كما أنّه يؤكد على أنّ الهدف من تلك الكتب لم يكن سوى التشويش على عقول المسلمين لإبعادهم عن فهم حقيقة دعوة الشيخ الإمام؛ ولذلك نجد أنّ أصحابها استعملوا أساليب الكذب والتحريف في مؤلفاتهم، وقد استفادوا مِن دعم مَن بأيديهم مقاليد الحكم في فترات تاريخية مختلفة. بَيْد أنّ الباحث المنصف يدرك أنّ التّهم التي أُلصقت بأتباع الدعوة السلفية لا تمتّ إلى الموضوعية بصلة؛ حيث إنّ المعارضين قد تنوّعوا في أساليبهم: فتارة يفترون الكذب عليهم، وتارة يلزمونهم بلوازم لا تتحملها أقوالهم، وتارة يحرّفون أقوالهم عن وجهها.. وفي معظم الأحيان نجدهم ينقلون التّهمة نفسها فيما بينهم عبر عصور متعاقبة؛ مما يعني أنّ القوم لم يكن لهم هدف سوى القضاء على الدعوة السلفية وأتباعها. قد تمّ إثبات حقيقة مذاهب أتباع الدعوة السلفية ـ عن طريق نقل أقوالهم ـ في معظم القضايا التي اتهمهم فيها معارضوهم بما يخالف مذهبهم.

الكلمات المفتاحية : الدعوة ـ السلفية ـ الافتراء – البدع .

Abstract:

This huge number of books written by opponents of the Salafist call - since the emergence of the call of Sheikh Imam Muhammad bin Abdul Wahhab to the present time - is the best evidence of the extent of the hostility it faced, and it also confirms that the aim of these books was to confuse the minds of Muslims to keep them from understanding the reality of Sheikh Imam’s call; Therefore, we find that its authors used methods of lying and distortion in their writings, and they benefited from the support of those who hold the reins of government in different historical periods. However, the fair researcher realizes that the accusations leveled against the followers of the Salafist call have nothing to do with objectivity. As the opponents have varied in their methods: sometimes they fabricate lies against them, and sometimes they oblige them with supplies that their words cannot bear, and sometimes they distort their words from their face... In most cases, we find them transmitting the same accusation among themselves

through successive eras; This means that the people had no goal other than to eliminate the Salafist call and its followers. The truth of the doctrines of the followers of the Salafi call has been proven - by quoting their sayings - in most of the cases in which their opponents accused them of violating their doctrine.

Keyword : da'wah - Salafism - defamation - heresies

مقدمة :

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين.

أما بعد:

فإنّ المتتبع لتاريخ الدعوة السلفية منذ ظهور الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، يُلاحظ أنّها واجهت معارضة قوية من أعدائها الذين لم يكونوا يرتضون هذه الدعوة مذهبا، وإنّما كانوا يُفضّلون بقاء الناس على ما ألِفوه وشبُّوا عليه، وقد كان التأليف أبرز السلاح الذي لجأ إليه كثير منهم في سبيل مواجهة هذه الدعوة المباركة؛ باعتباره من أنجع الوسائل الإعلامية، فألّفوا في ذلك مؤلفات كثيرة، من بين رسائل قصيرة، وكتب مطوَّلة، قصدوا من خلالها تشويه هذه الدعوة، والرد على دعاتها، ولم يترددوا في إلصاق التهم والافتراءات على أتباعها لتحقيق أغراضهم.

وقد تنوعت أساليبهم في كتبهم من مبدأ أمر الشيخ الإمام إلى وقتها الحاضر، ما بين ما كتب قُصِد بها تقرير معتقدات أصحابها البدعية، وكتب أخرى استُهدف بها الهجوم على أتباع الدعوة السلفية، ونعتِهم بكل الأوصاف الممكنة.

ونظرا إلى أهمية هذه الكتب المناوئة للدعوة السلفية، وتنوع أساليب أصحابها في الهجوم، أحببت أن أُبرز للمهتمين بعض سمات تلك الكتب في هذه الدراسة، ثم أعقبها ببيان موقف علماء هذه الدعوة منها، مع ذكر ردوهم على ما اتُهموا به، وقد سميته: (سمات كتب المناوئين للدعوة السلفية - عرض ونقد).

مشكلة البحث:

لقد كثرت كتب المناوئين للدعوة السلفية منذ عهد الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى وقتنا الحاضر، وتميزت تلك الكتب بافتراء الأكاذيب على هذه الدعوة وأتباعها، ووصفهم بكل الأوصاف الممكنة بقصد تنفير الناس من حولها، ونظرا إلى أنّ تلك الكتب كانت بعيدة عن الموضوعية في أطروحاتها، وما لها من دور كبير في تشويه

هذه الدعوة، كان لا بد من تسليط الضوء عليها، وإبراز بعض السمات التي تميزت بها، مع بيان موقف علماء الدعوة منها.

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في أنه يلقي الضوء على أبرز سمات كتب المناوئين للدعوة السلفية، مع تعقيبها بالمواقف الحقيقية لعلماء هذه الدعوة، على خلاف ما يدعيه أصحاب تلك الكتب.

أهداف البحث : يهدف هذا البحث إلى:

١- إبراز المواقف الحقيقية لعلماء الدعوة السلفية في كثير من المسائل التي اتُّهموا فيها من قبل معارضيهم.

٢- بيان أنّ كتب المناوئين للدعوة السلفية غير متسم بمعايير الموضوعية.

منهج البحث : المنهج الاستقرائي الاستنباطي .

خطة البحث : يشتمل البحث علي مقدمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وقد اشتملت على: مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، والخطة المتبعة فيه.

المطلب الأول: انتشار كتب أهل البدع وأسبابه .

المطلب الثاني: انعدام الموضوعية لدى أصحابها .

المطلب الثالث: تصريحهم أصحابها بمذاهبهم البدعية .

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث .

المصادر والمراجع .

المطلب الأول: انتشار كتب أهل البدع وأسبابه

إنّ المتتبع لتاريخ الدعوة السلفية منذ عهد الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا الحاضر، وما واجهته من قوة المعارضة من قبل أعدائها، يلاحظ كثرة انتشار مؤلفات أهل البدع في هذه الفترة، ما بين رسائل شخصية قصيرة، وكتبٍ استُهدِفَ بها تلبيس حقيقة هذه الدعوة على عامة المسلمين في مختلف بلدانهم.

ولعل أهمّ سبب اعتماد المناوئين للدعوة السلفية على التأليف راجعٌ إلى كونه من أنجع الوسائل الإعلامية للترويج في عهد الشيخ الإمام وما بعده، ويؤكد هذه الحقيقة أنّ هذه الوسيلة كانت أكثر الوسائل استخداما لصد دعوة الشيخ من قبل معارضيه[1]، يضاف إلى ذلك أنّ الشيخ نفسه وأئمة الدعوة من بعده قد اعتمدوا عليها في نشر دعوتهم؛ فعملوا على إرسال الرسائل إلى مختلف الأقطار الإسلامية؛ يشرحون للحكام والأمراء والعلماء حقيقة دعوتهم، ويردّون من خلالها على ما أثيرت حولها من شبهات مختلفة من قبل أعدائهم، كما عملوا على تأليف كتب مختلفة للأغراض السالف ذكرها[2].

ويمكن إرجاع أسباب كثرة انتشار كتب أهل البدع في هذه الفترة المدروسة إلى عدة أمور:

أولا: انتشار الجهل:

من الأسباب التي أسهمت في هذا الانتشار الملحوظ لكتب أهل البدع في هذه الفترة، هو ما كان عليه أصحابها - وكثير غيرهم ممن ينتسبون إلى الإسلام - من الجهل بحقيقة الإسلام، والبعد عن صراط الله المستقيم الذي بيّنه النبي محمد ﷺ لهذه الأمة[3]؛ حيث انغمس الكثيرون في ظلام الضلال الدامس قُبَيل ظهور دعوة الشيخ السلفية، فعبد كثير منهم ربهم بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير، فكثرت فيهم المُحْدَثات البدعية، وضعوها من عند أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان، ثم تحولت هذه المحدثات إلى المألوفات التي هرم عليها الكبير وشبّ عليها الصغير، فانعكست مفاهيم الحقائق في ما بينهم، وصاروا يصفِّقون للباطل ويؤيدون أهله، ويستهزؤون بالحق ويضيّقون على أهله[4].

---

(1) ينظر: الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، د. عبد الله بن صالح العثيمين: ١١١/١، ودعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٣٢.

(2) ينظر: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي: ٦٣٤-٦٣٨.

(3) من ذلك ما روي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنّه قال: (كنا عند النبي ﷺ، فخطّ خطا، وخطّ خطّين عن يمينه، وخطّ خطّين عن يساره، ثم وضع يده في الخطّ الأوسط، فقال: ((هذا سبيل الله))، ثم تلا هذه الآية: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [الأنعام: ١٥٣])، سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، (باب اتباع سنّة رسول الله ﷺ)، حديث رقم (١١): ٦/١، وصححه الألباني.

(4) ينظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٧٠.

وقد وصف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن[٥] ما كانت عليه حال معظم الناس عند ظهور الشيخ وصفا دقيقا، وذلك في قوله: "كان أهل عصره ومصره في تلك الأزمان قد اشتدت غربة الإسلام بينهم، وعفت آثار الدّين لديهم، وانهدمت قواعد الملة الحنِيفِيَّة، وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية، وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان، وغلب الجهل والتقليد والإعراض عن السنة والقرآن، وشبّ الصغير وهو لا يعرف من الدّين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان، وهرم الكبير على ما تلقاه عن الآباء والأجداد، وأعلام الشريعة مطموسة، ونصوص التنزيل وأصول السنة فيما بينهم مدروسة، وطريقة الآباء والأسلاف مرفوعة الأعلام، وأحاديث الكهان والطواغيت مقبولة غير مردودة ولا مدفوعة، قد خلعوا ربقة التوحيد والدّين، وجدُّوا واجتهدوا في الاستغاثة والتعلق بغير الله من الأولياء والصالحين، والأوثان والأصنام والشياطين، وعلماؤهم ورؤساؤهم على ذلك مُقبِلون، ومن بحره الأُجاج شاربون، وبه راضون، وإليه مدى الزمان داعون، قد أعشتهم العوائد والمألوفات، وحبستهم الشهوات والإرادات عن الارتفاع إلى طلب الهدى من النصوص المحكمات، والآيات البينات، يحتجّون بما رووه من الآثار الموضوعات، والحكايات المختلفة والمنامات، كما يفعله أهل الجاهلية وغَبَر الفترات..."[٦].

فلما كانت حالهم في تلك الفترة هذه، كان من الطبيعي أن تُقابَل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب باستغرابِ مُعظمِهم؛ لكونها مخالِفة لموروثاتهم الشركية، ومألوفاتهم البدعية، فلما دعاهم إلى عبادة الله وحده دون سواه، وإلى عدم الاستغاثة بما سوى الله من الأولياء والصالحين، كبُر عليهم ذلك، وضاقت به صدورهم، وقابلوا الدعوة ببالغ الاستنكار من قبل أدعياء العلم منهم(٧)، وكأنّ لسان حالهم يقول: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ [٨]، فكانوا يعملون على إبعاد الناس عن فهم حقيقة هذه الدعوة المباركة عن طريق تشويهها، وإحداث حالة من الضوضاء حولها لمزيد تضليل الناس، وكأنّهم بذلك يحاكون طريقة التضليل نفسها التي كان يستعملها مشركي قريش على النبي ﷺ عند تلاوته للقرآن الكريم[٩]؛ لما عرفوا من تأثيره على كل من سمعه، قال

---

(٥) هو عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب من آل الشيخ في نجد، فقيه، وأديب، ولد ونشأ ببلدة الدرعية عام (١٢٢٥هـ-١٨١٠م)، وارتحل إلى مصر، من آثاره العلمية: منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، ومصباح الظلام في الرد على ابن منصور، توفي في الرياض عام (١٢٩٢هـ-١٨٧٥م)، ينظر: معجم المؤلفين: ١٠/٦، والإتحاف في الرد على الصحاف للشيخ، بتحقيق: عبد العزيز الزير آل حمد: ٩-١٠.

(٦) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن: ٣٨١/٣-٣٨٢.

(٧) ينظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٧١.

(٨) سورة ص: ٥.

(٩) وجه المقارنة هنا هو تشابه الأسلوب الذي استعمله كلا الفريقين في دفع الحق ومحاربته.

تعالى في ذلك: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ [١٠]، وهذا الأسلوب غالبا ما يستعمله الخصم في حالة العجز عن مقارعة خصمه بالحجة والدليل، وهو ما لجأ إليه خصوم الشيخ من أدعياء العلم في عصره، والعصور التالية بعد ذلك؛ لإدراكهم لما لهذه الدعوة المباركة من سلطان على قلب كل من استمع إليها بإنصاف.

فجهلُ كثير من العلماء بحقيقة الإسلام في تلك الفترة، كان من أسباب لجوئهم إلى الكتابة؛ لدحض دعوة الشيخ التي كانوا يعتبرونها دعوة بدعية؛ فجدّوا واجتهدوا في نشر رسائل وكتب ومؤلفات للرد على تلك الدعوة وصاحبها، وفي المقابل يثبتون من خلالها على عقائدهم البدعية الموروثة من الآباء والأجداد، ولا يزال هذا الأسلوب متَّبعًا بينهم إلى يومنا هذا رغم اختلاف العصور بين السابقين واللاحقين، ولا عجب في ذلك؛ فهم قوم ديدنهم تقديس الأشخاص لا اتباع الدليل، وسيتضح ذلك في ثنايا هذا البحث بإذن الله تعالى.

ثانيا: قصد الإساءة إلى هذه الدعوة وأصحابها:

ومنها قصد الخصم الإساءة إلى هذه الدعوة وأصحابها، وذلك عن طريق إلصاق التهم الباطلة بها، وافتراء الأكاذيب عليها، ونشر ذلك في الآفاق، وقد لاقت هذه الدعوة منذ ظهورها على يدي مجددها حملة شنيعة مكثَّفة لتنفير الناس من حولها؛ فادَّعوا أنّها مذهب خامس[١١]، وأنّ أصحابها خوارج يستحلّون دماء المسلمين، وأنّ حامل لوائها - الشيخ محمد بن عبد الوهاب - يدّعي النبوة، ويقلّل من شأن النبي ﷺ[١٢]، إلى غير ذلك من الافتراءات التي أُلْصِقت بهذه الدعوة منذ فجر ظهورها إلى يومنا هذا.

وقد بدأت حملة التشويه هذه منذ أيام الشيخ نفسه، كان منها الرسائل التي بعث بها سليمان بن سحيم[١٣] إلى العلماء خارج نجد، يستحثّهم فيها ويحرضّهم ضد الشيخ

---

(١٠) سورة فصلت: ٢٦.

(١١) كان العلماء في تلك الفترة يعتبرون باب الاجتهاد مسدودا، وأنّه لا يحقّ لأحد - مهما بلغ علمه - الخروج على المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة (المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي)، فلما ظهر الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بدعوته، ولم يكتف بذكر ما ألفوه من المسائل؛ ادَّعوا أنّه جاء بمذهب خامس، ويقصدون به أنّه أحدث مذهبا جديدا خارجا عن المذاهب الأربعة المعروفة لديهم.

(١٢) ينظر: الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب): ١/١٠٩، ودعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٧١-٧٢.

(١٣) هو سليمان بن محمد بن سحيم، ولد سنة(١١٣٠ه)، تعلم في لد علماء نجد، وصار من علماء أهل الرياض ومفتيها، وبعد سقوطها في يد الدولة السعودية الأولى غادر إلى الزبير، وكان من ألدّ أعداء الدعوة السلفية، وممن بدأ نسج الافتراءات على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأرسل رسائل إلى مختلف الأمصار بهدف تشويه دعوة الشيخ الإمام، وكانت لتلك الرسائل آثار سيئة ضد هذه الدعوة المباركة وصاحبها، وقد توفي سنة (١١٨١ه)، ينظر: ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون، عبد الله بن عبد الرحمن

ودعوته، واختلق في سبيل إقناعهم الأكاذيب(١٤)، وقد أشار الشيخ في رسالته إلى أهل القصيم كيد ابن سحيم عليه، وذلك في قوله: "بلغني أنّ رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم، وأنه قَبِلها وصدّقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم؛ والله يعلم أنّ الرجل افترى عليَّ أموراً لم أَقلها، ولم يأت أكثرها على بالي"(١٥).

ومنها كذلك مؤلفات أحمد زيني دحلان(١٦) أحد كبار علماء الشافعية في مكة؛ حيث عمل على تشويه حقيقة الدعوة السلفية وسمعة مجدِّدها(١٧)، ومن جملة ما ذكره في ذلك أنّه اعتبر هذه الدعوة من أعظم الفتن التي ظهرت في الإسلام، وأنّ أصحابها لا يتدينون إلا بدين الزنادقة، وأنّ شيوخ الشيخ الذين أخذ عنهم العلم كانوا يتفرَّسون فيه الإلحاد والضلال وكان أمره كذلك، وأنّه كان في أوّل أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادّعى النبوة كاذبا؛ كمسيلمة الكذاب(١٨) وغيره، وأنّه يُكفِّر المسلمين الذين لم يتبعوه، ويستحلّ دماءهم وأموالهم، وأنّه ينتقص النبي ﷺ، ويكره الصلاة عليه ﷺ ويتأذى بسماعها ويؤذي من يفعل ذلك، وأنّه أذن لكل من تبعه أن يفسر القرآن الكريم حسب فهمه ولو لم يكن ممن يجيد قراءته(١٩).. إلى آخر ما اختلقه من أكاذيب بغية تشويه حقيقة هذه الدعوة وأتباعها.

وقد كانت افتراءاته المثارة على الشيخ وأتباعه في كتابه هذا كفيلة بإثارة حفيظة المسلمين، وبعث سخطهم وغضبهم، وجعل أهالي الحجاز يعتبرون أهل نجد كاليهود

آل بسام: ٢/٣٨١-٣٨٢، وحياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته: ١٣٥-١٣٦، ودعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٣٩-٣٩.

(١٤) ينظر: الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب): ١/١١١، ودعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٧٢.

(١٥) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب): ٦/١٢.

(١٦) هو أحمد بن زيني دحلان، فقيه مؤرخ، ولد بمكة سنة (١٢٣٢هـ-١٨١٧م)، وتولى الإفتاء والتدريس بها، وفي أيامه أنشئت أول مطبعة في مكة، فطبع فيها بعض كتبه، وله عدة مؤلفات منها: الفتوحات الإسلامية، خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، الدرر السنية في الرد على الوهابية، توفي في المدينة سنة (١٣٠٤هـ-١٨٨٦م)، ينظر: الأعلام: ١/١٢٩-١٣٠، ومعجم المؤلفين: ١/٢٢٩-٢٣٠.

(١٧) ينظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٧٢.

(١٨) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الوائلي، ويكنَّى بأبي ثمامة، ولد ونشأ باليمامة، وفي القرية المسماة اليوم بالجبيلة، بقرب العيينة، وتلقب في الجاهلية بالرحمن، وعُرف برحمان اليمامة، وقد ادعى النبوة في حياة النبي ﷺ، ووضع أسجاع يضاهي القرآن الكريم، وقيل بأنّه أول من وضع البيضة في قارورة، وقد توفي النبي ﷺ قبل القضاء على فتنته، فلما انتظم الأمر لأبي بكر الصديق ﷺ أرسل إليه جيشا قويا على رأسه الصحابي خالد بن الوليد، وانتهت المعركة بمقتله، واستشهاد حوالي ألف ومئتي صحابي، وذلك في سنة (١٢) للهجرة، ينظر: تهذيب الأسماء واللغات: ٢/٩٥، والأعلام: ٧/٢٢٦.

(١٩) ينظر: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام: ٢/ ٦-١٠.

والنصارى والمشركين، بل شرا منهم(٢٠)! وهذا يدل على قوة التأثير الذي أحدثه كتابه هذا في الخاصة والعامة على السواء، فكيف لو أضيفت إليه آثار الكتب الأخرى السائرة على هذا المنوال!!

ولم يكتفوا في عداوتهم ضد دعوة الشيخ على نشر ما كتبوه بأنفسهم، وإنما عمدوا إلى الترويج للكتب التي ألّفها غيرهم من علماء خارج نجد ضد هذه الدعوة بين الناس؛ لأنّهم وجدوا فيها ما يعزّز مواقفهم(٢١).

وقد كان من أهم الأسباب التي دفعتهم إلى اتخاذ هذا الموقع الهجومي ضد هذه الدعوة وأتباعها، هو خوفهم من فقدان مكانتهم الاجتماعية؛ حيث إنهم لو تركوها دون رد لتساءل الناس عن مدى علمهم وإخلاصهم مقابل ما يدعوهم الشيخ إليه، فإن كانوا قد علموا بمثل ما يدعوهم إليه وأخفوه عن الناس فإخلاصهم مفقود، وإن كانوا قد جهلوا به قبله فعلمهم قليل، وفي كلتا الحالتين إضعاف لمكانتهم، يضاف إلى ذلك إنكار الشيخ عليهم أكل السحت والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل(٢٢)، كل ذلك أسهم في تأجيج لهيب عداوتهم ضد دعوة الشيخ.

وهذا الموقف المذكور يصدق على المناوئين المعاصرين للشيخ فمن بعدهم، أما المتأخرون فغالبا ما يكون موقفهم تقليدا للأولين في الغالب، كما سيتضح ذلك في ثنايا البحث بإذن الله تعالى.

ثالثا: النِّزاعات السياسية:

ومنها النزاعات السياسية والحروب التي كانت دائرة بين أتباع هذه الدعوة وبين الدولة العثمانية من جهة، وبينهم وبين الأشراف من جهة أخرى؛ حيث ولّدت هذه العداوة غيثا من المطاعن والشبهات(٢٣)، وكان معظمها تتم عن طريق تأليف الكتب، وكتابة رسائل، ونشرها بين الناس.

من ذلك ما كان يقوم به بعض المدَّعين للعلم في كل من مصر والحجاز والآستانة من تأييد للدعايات السياسية ضد دعوة الشيخ الإصلاحية، "وكان لأولئك الأدعياء من سلطان آل عثمان وأنصارهم وشيعتهم ما استعانوا به، فأعانهم على طبع الآلاف المؤلفة من هذه الكتب والرسائل، وتوزيعها على الناس، ونشرها في الأمصار

---

(٢٠) ينظر: دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد منظور النعماني: ٥٩، وأثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها: ٣٢.

(٢١) ينظر: الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب): ١١٤/١، ودعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٣٣.

(٢٢) ينظر: الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب): ٦٣/٦، وأثر الدعوة الوهابية في الإصلاح= =الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها: ٣٠، والرسائل الشخصية للشيخ محمد ابن عبد الوهاب (ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب): ١١٠/١.

(٢٣) ينظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٧٣.

الإسلامية، وبذلوا كل جهد في ترويجها بما أوتوا من قوة وسلطان، فلم يلبث العامة الذين لا يعلمون من الدّين شيئا إلا تقاليد لا قيمة لها، ولا يعرفون العلم إلا إذا كان من كتاب مطبوع، ولا يقيمون وزنا للقول إلا إذا كان مقدماً له بمقدمة (تأليف العالم العلامة، الحبر البحر الفهامة، القطب الرباني، والفرد الصمداني)، وما إلى ذلك من تهاويل تُدهش العامي؛ فيَخِرّ لها عقله وقلبه ساجدا وهو لا يدري"(٢٤).

فيتضح هنا أنّ الدولة العثمانية كانت تموّل الكتّاب الذين كانوا يكتبون ضد دعوة الشيخ وتؤيدهم؛ وكان ذلك من أهمّ الأسباب التي أدت إلى كثرة المؤلفات المناوئة لهذه الدعوة وأتباعها في هذه الفترة.

وقد بيّن الشيخ محمد رشيد رضا(٢٥) آثار العداء السياسي مع بداية قيام الدولة السعودية الثالثة، والدور الذي اضطلع به الأشراف - حلفاء الدولة العثمانية في المنطقة - ضد دعوة الشيخ السلفية، كان من جملة ما قاله: "إنّ سبب قذف الوهابية بالابتداع والكفر سياسي مَحْضٌ، كان أولاً لتنفير المسلمين منهم؛ لاستيلائهم على الحجاز، وخوف الترك أن يقيموا دولة عربية إلخ؛ ولذلك كان الناس يهيجون عليهم تبعًا لسخط الدولة، ويسكتون عنهم إذا سكنت ريح السياسة، إلى أن جدّدها الملك حسين في الحجاز، وولده الملك فيصل في العراق، وولده الأمير عبد الله في سورية وفلسطين بعد توليتهم لأمور هذه البلاد.

أصدر الملك حسين عدة منشورات في جريدته (القبلة) في ٩ شوال سنة ١٣٣٦، وغرة ربيع الأول سنة ١٣٣٧، و٨ جمادى الأول منها، رماهم فيها بالكفر، وتكفير أهل السنة، والطعن في الرسول الأعظم ﷺ، وقد صرح في الثاني منها بأنّ حكومته رأت أن تمحو بدعتهم بالأصالة عن نفسها، وبالنيابة عن سائر المسلمين... ثم رأينا بعض أهل دمشق وبيروت يتقربون إليه وإلى ولده الأمير عبد الله بطبع الرسائل في تكفيرهم... ثم سرى ذلك إلى مصر، وظهر له أثر في بعض الجرائد من حيث لا يدري أصحابها من أين جاء"(٢٦).

---

(٢٤) أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها: ٣١.

(٢٥) هو محمد رشيد بن علي رضا، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، ولد ونشأ في طرابلس الشام عام (١٢٨٢هـ-١٨٦٥م)، ورحل إلى مصر عام (١٣١٥هـ)، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ لديه، ثم عاد إلى بلاد الشام بعد إعلان الدستور العثماني عام (١٣٢٦هـ)، واعترض عليه، وكانت فتنة عاد على أثرها إلى مصر، فأنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد)، توفي في مصر عام (١٣٥٤هـ-١٩٣٥م)، ومن مؤلفاته: مجلة المنار، وتفسير القرآن الكريم، ينظر: الأعلام: ١٢٦/٦،

(٢٦) حقيقة الوهابية ومنشأ الطعن فيها، مجلة المنار، س١٣٤١هـ، ذو الحجة: ٥٨٤/٢٤.

وهكذا، فقد عملت قوة السياسة في انتشار الكتب المناوئة لدعوة الشيخ الإصلاحية، إما بالدعم المباشر من الحكام والأمراء، وإما باتخاذها وسيلة من قبل الكتّاب للتقرب إلى الحكام، والحصول على حظوظ من الدنيا الآجلة.

رابعا: دفاع أصحابها عن عقائدهم البدعية:

ومن أسباب انتشار كتب أهل البدع المناوئة لدعوة الشيخ بين الناس في هذه الفترة، محاولة أصحابها الدفاع عن معتقداتهم البدعية وآرائهم الفاسدة؛ وذلك أنّه لما انتشرت البدعيات بين الناس، وانتشرت ظاهرة الغلو في الأموات والاستغاثة بهم، والتفنّن في تشييد المشاهد وإقامة المزارات على القبور، وزخرفتها وتزيينها، مع صرف الأموال الطائلة عليها ـ وجد أدعياء العلم من أهل البدع فرصة لبثّ عقائدهم المنحرفة بين الناس؛ لغلبة الجهل على كثير منهم، فلما ظهرت دعوة الشيخ الإصلاحية، وأخذت تزيل ما التصقت بالناس من أدران الشرك، وتدعوهم إلى تحقيق التوحيد الصافي؛ أدرك أولئك القوم من أهل البدع أنّ ظهور هذه الدعوة نذير بزوال عقائدهم الفاسدة، فلجأوا إلى الدفاع عن معتقداتهم عن طريق التشنيع على هذه الدعوة وأنصارها، وهم أثناء ذلك يحاولون إبراز معتقداتهم البدعية، ويزعمون أنّه الحق، بل ويفتخرون بانتسابهم إلى معتقداتهم تلك(٢٧).

والأمثلة على ذلك كثيرة، من ذلك صنيع إسماعيل التميمي(٢٨) عند دفاعه عن معتقد الصوفية في حكم البناء على القبور؛ حيث إنه حاول التدليل على مشروعية البناء على القبور، واسترسل في ذكر كلام الفقهاء في ما ذهب إليه، ومن جملة ما ذكره في ذلك: أنّ البناء على القبور لا يخلو من أحد الأمرين: إما أن يكون البناء على القبر نفسه، وإما أن يكون حواليه؛ كقُبَّة أو بيت أو مدرسة أو غيرها.

- فأما البناء على القبر نفسه، فهو محرم إذا قُصد به المباهاة، ويُكره في غير ذلك.

- وأما البناء حواليه كالجدار الذي يُجعل للفصل بين القبور فجائز، وأما بناء القبّة عليها أو البيت أو المدرسة ففيه تفصيل: فإن كان البناء في أرض موقوفة، أو في مُلك الغير ولم يأذن بذلك صاحبها فيُمنع؛ لأنّه تَصَرُّف في مُلك الغير من دون إذن منه، وهو مباح في ما عدا ذلك، بل إنه ذهب إلى أنّ ظاهر كلام المجيزين يفيد جواز بناء المسجد على القبور، وأجاب على النهي عنه الوارد في الحديث بأنّه معلّل بسدّ الذريعة؛ لأنّه يؤدي إلى

---

(٢٧) ينظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٧٤ـ٧٥.

(٢٨) هو إسماعيل بن محمد حمودة الشريف التميمي التونسي أبو الفداء، ولد عام (١١٦٤هـ-١٧٥١م)، ودرس في جامع الزيتونة، وتولى منصب القضاء بتونس، ثم رئيسا للفتوى، من آثاره العلمية: المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية، الأئمة والخطباء بجامع الزيتونة، توفي سنة (١٢٤٨هـ-١٨٣٢م)، ينظر: المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية: ٧-١٢، ومعجم المؤلفين: ٢٦٣/٢.

الصلاة إلى القبر فيؤدي إلى عبادتها، فالمنع فيه عَرَضِيٌّ في زعمه، يزول بزوال ذلك العارض(٢٩).

وقد استدل في ذلك بجملة من الوقائع التاريخية، منها "ما حكاه الله سبحانه في قصة أهل الكهف من قوله جل جلاله: وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٣٠)، ففي البيضاوي: أنّهم ماتوا، وأنّ الملك دفنهم في الكهف وبنى عليهم مسجدا، وقيل إنّه عمي على أهل المدينة مدخل الكهف، بعد أن دخله الفتى الذي بعثه أهل الكهف؛ فبنوا ثمة مسجدا، وفي ابن جُزى: أنّ الذين غلبوا على أمرهم قيل: الولاة، وقيل المسلمون؛ لأنّهم كانوا أحق بهم من الكفار؛ فبنوا على باب الكهف مسجدا لعبادة الله، ووجه الدليل منها يظهر بتقرير القاعدة التي قدمناها في حديث الغار، وهي أنّ القضية إذا حكاها الشارع ولم يُنبِّه على ما فيها فهي صحيحة"(٣١)، ونقل عددا من أقوال الفقهاء في تأكيد هذه القائدة، ثم قال: "وإذا عرفت هذا، فإنّ الله تعالى لما حكى بناء المسجد ههنا ولم يَسُقه مساق الذّم، ولا تَعقَّبه بإبطال، دلّ على أنّ اتخاذ المسجد على الميّت لا بأس به؛ إذ هي من فروع هذه القاعدة"(٣٢).

فيظهر من خلال كلامه أنّه - وهو في معرض الدفاع عن معتقده - يُثبت حقيقة ما يعتقده، ويسوق أقوال الفقهاء في دعم مذهبه للتلبيس على العامة والبسطاء من المسلمين؛ فيعتمد على الوقائع دون النصوص الشرعية الصريحة من السنة النبوية الشريفة، التي تفيد نهي النبي ﷺ عن البناء على القبور واتخاذها مساجد.

فمما ورد من النهي النبوي عن البناء على القبور، ما رُوي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أنّه قال: (نهى رسول الله ﷺ أن يُجصّص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه)(٣٣)، كما ورد النهي الصريح عن اتخاذ القبور مساجد في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ قال: ((لعن الله اليهود والنصارى،

---

(٢٩) ينظر: المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية: ١٢٧.

(٣٠) سورة الكهف: ٢١.

(٣١) المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية: ١٢٨.

(٣٢) ينظر: المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية: ١٢٩.

(٣٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، (باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه)، حديث رقم (٩٧٠): ٦٦٧/٢.

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[٣٤]، وقوله ﷺ ((ألا وإنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك))[٣٥].

فهذه النصوص صريحة بما لا يحتمل التأويل في نهيه ﷺ عن البناء على القبور، وزخرفتها، واتخاذها مساجد؛ لأنّ كل ذلك وسيلة إلى الغلو فيها المؤدي إلى الشرك، وإلى عبادة الموتى من دون الله تعالى، وليس بخافٍ ما وقع فيه غلاة الصوفية الذين بنوا على القبور وعظمّوها، حتى صار أصحابها يُعبدون من دون الله تحت مسمى التبرّك وغيره.

ويمكن الرد على كلامه هذا من عدة وجوه:

أولها: أنّه قدَّم آراء الفقهاء على الأحاديث الصحيحة المروية عن النبي ﷺ، ثم علّل النهي الوارد في هذه الأحاديث بأنّها من باب سدّ الذرائع، وأنّ المنع فيها عارض يزول بزوال ذلك العارض، فيقال له: ومتى يزول العارض، والناس إلى يومنا هذا لا يزالون يستغيثون بأصحاب القبور، ويدعونهم، ويَصرفون إليهم النذور والقرابين، ويطلبون الشفاء عند قبورهم؟ ألا يُعد ذلك كلُّه سببا كافيا للمنع؟!

ثانيها: أنّه لم يقل بحرمة البناء على القبر في ذاته كما هو صريح الأحاديث الشريفة، وإنما علّقها بأمر خارجي عنه؛ كأن تكون الأرض التي دُفن فيها الميت موقوفة أو مُلكا للغير، وليس ثمة ما ينص من الواقف أو صاحب الأرض على السماح بذلك، وأن لا يُسبِّب ذلك البناء التضييق على الناس، أما في ما عدا ذلك فلا بأس! ولا عجب في ذلك؛ لأنّ منهج أهل البدع مع النصوص الشرعية هو أنّهم يتعاملون معها اعتضادا لا ابتداء، فإن وافقت هواهم عملوا بها، وإلا بحثوا عنها بديلا ولو كان قول فلان أو علان.

ثالثها: وأما استدلاله بقصة أصحاب الكهف، فقد ورد ما يردُّ عليه في تفسير الشيخ السعدي بما نصه "...{فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا} الله أعلم بحالهم ومآلهم، وقال من غلب على أمرهم، وهم الذين لهم الأمر: {لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا} أي: نعبد الله تعالى فيه، ونتذكر به أحوالهم، وما جرى لهم، وهذه الحالة محظورة، نهى عنها النبي ﷺ، وذمّ فاعليها، ولا يدل ذكرها هنا على عدم ذمّها، فإنّ السياق في شأن تعظيم أهل الكهف والثناء عليهم، وأنّ هؤلاء وصلت بهم الحال إلى أن قالوا: ابنوا عليهم مسجدا..."[٣٦].

---

(٣٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، (باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور)، حديث رقم (١٣٣٠): ٨٨/٢، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد)، حديث رقم (٥٢٩): ٣٧٦/١.

(٣٥) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد)، حديث رقم (٥٣٢): ٣٧٧/١.

(٣٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٤٧٣.

وذكر الشيخ عبد الرحمن المُعَلِّمِي اليماني(٣٧) كلاما طريفا في الردّ على هذه الشبهة بما نصه: "لا نسلّم أنّ عدم إنكار الله تعالى جلّ ذكره لما يحكيه من الأقوال، ويقصّه من الأفعال، يدلّ على الجواز، كيف وقد حكى سبحانه قول إبليس: چپ پ پچ(٣٨) ولم يردّ عليه ردّا يخصّ هذه الدعوى؟ وحكى سبحانه عن النمروذ قوله: چچ ډ ډڌچ(٣٩)، ولم يكذّبه؟ وقصّ عن إخوة يوسف خَدْعَهم أباهم، وإخلافَهم وعدَهم له، وإرادتهم قتلَ أخيهم، وإلقاءه في غيابة الجبّ، وبيعَه بثمن بخس، ولم ينصّ في قصّتهم على أنّ تلك الأفعال من المحرّمات؟ وغير هذا كثير في القرآن"(٤٠).

فحكاية بناء المسجد في هذه القصة مع عدم سوقه مساق الذّم، ولا تعقيبه بإبطال، ليس دليلا على جواز ذلك؛ لأنّه ورد في السنة النبوية الشريفة ـ كما سبق ـ ما يفيد تحريمه، ومعلوم أنّ السنة تُعتبر المصدر الثاني بعد القرآن الكريم في التشريع، وأنّها مُبيِّنة لمجل القرآن الكريم، فلا يُنكر حرمةَ البناء على القبور ـ بعد ذلك ـ إلا من يتربصون بالمتشابهات من الأدلة، ويتركون المحكمات البينات منها، كما في قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ(٤١).

فالحاصل أنّ أحد الأسباب التي أدت إلى كثرة مؤلفات أهل البدع في هذه الفترة، هو ما يقوم به أصحابها من الدفاع عن معتقداتهم البدعية مقابل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية؛ فيشنّعون الهجوم عليها وعلى أتباعها، ثم يحاولون من خلال ذلك إظهار معتقداتهم للناس، وإيهامهم بأنّها المذهب الحق، وأنّ ما عداها باطل.

وبما أنّ أهل البدع ـ على اختلاف مشاربهم ـ أشبه ما يكونون بأصحاب الملة الواحدة، وأنّ الهدف الجامع لهم هو تشويه حقيقة الدعوة السلفية من لدن الشيخ الإمام

---

(٣٧) هو عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المُعلِّميّ العتمي، فقيه من علماء اليمن، ولد ونشأ في عتمة سنة (١٣١٣هـ-١٨٩٥م)، وتعلم ببلاد الحجرية وراء تعز، وسافر إلى جيزان وتولى القضاء بها، وسافر إلى الهند وعمل في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ثم عاد إلى مكة فعيّن أمينا لمكتبة الحرم المكي، إلى أن شوهد منكبا على بعض الكتب وقد فارق الحياة سنة (١٣٨٦هـ-١٩٦٦م)، وقيل بل توفي على سريره، ودفن في مكة، من آثاره العلمية: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، وأضواء على السنة، ينظر: الأعلام: ٣٤٢/٣.

(٣٨) سورة الأعراف: ١٢.

(٣٩) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٤٠) تحقيق الكلام في المسائل الثلاث: ١٨١.

(٤١) سورة آل عمران: ٧.

محمد بن عبد الوهاب إلى وقتنا الحاضر، فقد اتسمت مؤلفاتهم بانعدام الموضوعية؛ فنجد المتأخرين ينقلون عن السابقين شبهاتهم المثارة حول هذه الدعوة بلا أدنى تمحيص، ولا بحث عن مصداقيتها، كما أنّنا نجدهم يتمسكون بالأدلة الواهية الشاذة ويتركون الأدلة الصحيحة الصريحة، مع أنّ الموضوعية والإنصاف يقتضيان ذلك، وهو ما سيناقشه المطلب القادم بإذن الله تعالى.

المطلب الثاني: انعدام الموضوعية لدى أصحابها

لقد أمرنا الله تعالى في كتابه العزيز بالتحقَق من الأخبار قبل اتخاذ المواقف حيالها، وبخاصة إذا كانت هذه الأخبار مظَنَّة اتهام أصحابها، وفي ذلك يقول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [٤٢]؛ حيث بيّن الله تعالى في هذه الآية ضرورة التبيّن - وهو التحقيق - من صحة الخبر المنقول إلينا قبل إصدار الحكم عليه؛ لأنّ الصاق التُّهَم بالناس، وتقويلهم ما لم يقولوه من الحَيف في القول، ومن الظلم والجَور الذي نهانا الله تعالى عنه حتى مع من يخالفنا في الدّين، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [٤٣]. وبناء على هذه المقدمة، كان المتوقع من المعارضين للدعوة السلفية أن يعتمدوا على أقوال أصحابها في اتهاماتهم ضدها، لا أن يلجؤوا إلى اختلاق الافتراءات دون مستند علمي، والغريب في الأمر أنّ أكثر المسائل التي اتُّهِمَ بها أئمة الدعوة السلفية وعلماؤها قد نفوها هم عن أنفسهم بشكل صريح في رسائلهم وكتبهم، ثم نجد من يُصرّون مع ذلك على إلصاقها بهم واعتبارها مذهبهم، ولا يُكلّفون أنفسهم عناء البحث والتحقيق!

إنّ كثيرا من الكتّاب الذين سطروا كتبا ضد الدعوة السلفية لم يكونوا يهتمون بالتثبّت في حقيقة الافتراءات التي كانوا يطلقونها على هذه الدعوة وأتباعها، وإنما كانوا يسترسلون فيها دون مستند علمي معتبر، ثم يتناقلونها فيما بينهم، حتى اكتسبت سمة التواتر على الصعيد الشعبي، مما أغناهم عن أي بحث لمدى صدقها[٤٤]؛ فأدّى ذلك إلى

---

(٤٢) سورة الحجرات: ٦.

(٤٣) سورة المائدة: ٨.

(٤٤) ينظر: دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٣١.

شيوع ظاهرة الافتراءات على هذه الدعوة وأتباعها من قِبل معارضيها، بدءا من علمائهم إلى عامتهم، وهم يردِّدون التّهم نفسها، مع أنّ أصحاب هذه الدّعوة لا يعترفون بها.

وفيما يلي نماذج لانعدام الموضوعية في كتب المعارضين لدعوة الشيخ؛ وذلك برمي الأقوال دون مستند علمي، لا بالاستناد إلى أقوال أصحابها، ولا بالتحقّق من صحة نسبتها إليهم.

تأتي في مقدمتها تلك الافتراءات التي وجّهها سليمان بن سحيم ضد الشيخ ودعوته في حياته، فلما بلغته تلك الافتراءات، كتب ردا عليها في رسالته التي أرسلها إلى أهل القصيم، فبعد أن شرح لهم عقيدته التي يدين الله تعالى بها، قال: "ثم لا يخفى عليكم، أنه بلغني أنَ رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم، وأنه قَبِلَها وصدّقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم؛ والله يعلم أن الرجل افترى عليَّ أموراً لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي.

فمنها: قوله: إنّي مبطل كتب المذاهب الأربعة، وإنّي أقول: إنّ الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وإنّي أدعّي الاجتهاد، وإنّي خارج عن التقليد، وإنّي أقول: إنّ اختلاف العلماء نقمة، وإنّي أكفّر من توسّل بالصالحين... وإنّي أقول: لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب، وإنّي أحرِّم زيارة قبر النبي ﷺ، وإنّي أنكر زيارة قبر الوالدين(٤٥) وغيرهما، وإنّي أكفّر من حلف بغير الله... جوابي عن هذه المسائل، أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم"(٤٦).

وقال في موضع آخر - ردا على ما اتُّهم به من ادعاء الاجتهاد - في رسالة له إلى أهل اليمن: "... وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد، فنحن مقلدون للكتاب والسنة، وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل، رحمهم الله تعالى"(٤٧).

ويقول في موضع آخر في رسالة له إلى أهل اليمن - كذلك - ردا على ما اتُّهم به من التكفير بالعموم: "... وأما القول: إنا نكفّر بالعموم، فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدّين؛ ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم!"(٤٨)، بل يرى أنّ تكفير عموم المسلمين أمرٌ لا يقبله عقل، وفي ذلك يقول: "وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورَجله، منها: إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه فضلاً عن أن يفتريه، ومنها ما ذكرتم: أنّي أكفّر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أنّ أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجباً! كيف

---

(٤٥) يعني: قبر والِدَيْ كلٍّ من يقبل دعوته، وينتمي إلى جماعته.

(٤٦) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب): ١١/٦-١٢.

(٤٧) المصدر نفسه: ٩٦/٦.

(٤٨) المصدر نفسه: ١٠١/٦.

يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلمٌ أو كافرٌ أو عارفٌ أو مجنونٌ؟! وكذلك قولهم: إنه يقول: لو أقدر أهدم قبة النبي ﷺ لهدمتها... وأما... النهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان فهذا من البهتان"(٤٩).

ومن ناحية أخرى، فقد بيّن الشيخ الصنف الذي يرى كفرهم في قوله: "... وأما التكفير، فأنا أكفّر من عرف دين الرسول، ثم بعد ما عرفه سبّه ونهى الناس عنه، وعادى مَن فعله؛ فهذا هو الذي أكفّره، وأكثر الأمة - ولله الحمد - ليسوا كذلك"(٥٠)، وقال في موضع آخر: "... ولا نكفّر إلا من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجّة، وقامت عليه الحجّة، وأصرّ مستكبرا معاندا، كغالب من نقاتلهم اليوم، يصرّون على ذلك الإشراك، ويمتنعون من فعل الواجبات، ويتظاهرون بأفعال الكبائر والمحرّمات..."(٥١).

فها هو الشيخ ينفي عن نفسه ما أُلصِقت به من التّهم والافتراءات، ويصفها بالبهتان العظيم، ويذكر عقيدته ومذهبه فيما اتُهم فيه؛ ويتبرأ من التكفير بالعموم كما يدعيه خصمه، ويبيّن أنّه متبِّعٌ للكتاب والسنة، وصالح سلف الأمّة، والمعتمَد من أقوال الأئمة الأربعة، كما ينفي عن نفسه تهمة إرادة هدم قبة النبي ﷺ، وتهمة منع الصلاة على النبي ﷺ.

ومع هذا الحرص منه على توضيح مذهبه للناس، وعَمَلِه في الرد على التهم التي رُمِي بها في حياته - فقد أصرّ المناوئون على هذه التهم والافتراءات، وأحيَوْها بين الناس دون أدنى نظر إلى موقفه منها، ولا إلى موقف أتباعه من بعده منها.

ويمكن ذكر أمثلة من أولئك المصرِّين على هذه التهم قديما وحديثا، في مسائل مختلفة رغم نفيه هو وأتباعه لها؛ لكي يتبيّن مدى ابتعادهم عن الموضوعية، واتباعهم لأهواء أنفسهم.

دعوى تكفير المسلمين بالعموم:

تكاد تكون هذه القضية من أبرز القضايا المثارة ضد الدعوة السلفية وأتباعها، وأقبح تهمة يردّدها معظم المعارضين إن لم يكن كلهم؛ فنجد أنّ كثيرا ممن ألّف ضد هذه الدعوة يذكرها دون اتباع الموضوعية فيها، ولا الوقوف على مؤلفات أتباعها لمعرفة حقيقة مذهبهم في ذلك، بل إنّنا نجد الخصوم يحرّفون أقوالهم عن وجهها بعض الأحيان؛ من أجل تنفير الناس عن هذه الدعوة، وتشويه سمعة أصحابها.

---

(٤٩) المصدر نفسه: ٣٧/٦.

(٥٠) المصدر نفسه: ٣٨/٦، والدرر السنية في الأجوبة النجدية: ٧٣/١.

(٥١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: ٢٣٥/١.

فمن ذلك ما ادعاه سليمان بن عبد الوهاب(٥٢) - من المعارضين المعاصرين للشيخ محمد بن عبد الوهاب - من أنّ الشيخ يكفّر كل من لم يتبع مذهبه، فيقول: "... بل يوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه، ومن خالفه فهو عنده كافر، هذا ولم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد، ولا - والله - عشر واحدة، ومع هذا فَرَاجَ كلامُه على كثير من الجهّال، فإنا لله وإنا إليه راجعون، الأمة كلها تصيح بلسان واحد، ومع هذا لا يرد لهم في كلمة، بل كلهم كفّار أو جهّال..."(٥٣).

وذكر أحمد زيني دحلان - وهو من ألدّ خصم الشيخ - أنّ الشيخ كان يقول لأتباعه: "... إنّي أدعوكم إلى الدّين، وجميع ما هو تحت السبع الطباق مشركٌ على الإطلاق، ومن قتل مشركا فله الجنة؛ فاتبعوه وصارت نفوسهم بهذا القول مطمئنة..."(٥٤).

وزعم أنّ أتباع الدعوة السلفية "كانوا يصرِّحون بتكفير الأمة من منذ ستمائة سنة، وأوّل من صرّح بذلك محمد بن عبد الوهاب، فتبعوه على ذلك، وإذا دخل إنسان في دينهم وكان قد حجّ حجة الإسلام قبل ذلك، يقولون له حجّ ثانيا، فإنّ حجتك الأولى فعلتها وأنت مشركٌ، فلا تسقط عنك الحج"(٥٥).

وذكر حسن بن جمال بن أحمد الرِّيكي(٥٦) بعض أصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما وقع فيها من ردّ معارضيه عليه، فقال: "قال(٥٧): عامة الناس اليوم غير موحدِّين؛ لأنّهم يعبدون غير الله تعالى، فاستوجبوا القتل لذلك كما استوجب كفار العرب عند بعثة النبي ﷺ سواء، ومما يدلّ على كفر الناس وإشراكهم أنّهم يتقربون إلى الله بزيارة قبر الرجل الصالح من نبي أو ولي، ويدعو بعضهم بعضا بالدعاء المختص بالله سبحانه، من طلب جلب المنافع، ودفع المضار التي لا يقدر عليها سواه..."(٥٨).

---

(٥٢) هو سليمان بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، أخو الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عارض أخاه في الدعوة، وكتب رسائل في ذلك، من آثاره العلمية: الرد على من كفّر المسلمين بسبب النذر لغير الله، والصواعق الإلهية في الرد على الوهابية، توفي سنة (١٢١٠هـ-١٧٩٥م)، ينظر: الأعلام: ١٣٠/٣.

(٥٣) الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية: ١٥.

(٥٤) الدرر السنية في الرد على الوهابية: ١١٤.

(٥٥) الدرر السنية في الرد على الوهابية: ١١٩.

(٥٦) لم أعثر لهم على ترجمة.

(٥٧) يعني: الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب.

(٥٨) لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب: ٢٩٦-٢٩٧.

ويزعم عبد الله بن داود الزبيري[٥٩] أنّ الشيخ وأتباعه يكفّرون الناس، وينعتهم بأشنع الصفات، من ذلك أنّه - بعد أن ذكر أنّ أهل السنة لا يكفرّون من خالفهم، وأنّ الله وصف المسلمين في قوله " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ"[٦٠] - قال: "وصريح كلام ابن عبد الوهاب: أنّ هذه نزلت فيه وفي أتباعه، ومن عاداهم: شرّ أمة أخرجت للناس، مع أنّه لا خير فيه لأتباعه، بل يسومهم سوء العذاب، ولا للمسلمين بل هم عليهم أشرّ من مسيلمة الكذّاب، ولا يرحم صغيرا، ولا يوقّر كبيرا، ولا يقبل توبة من تاب؛ فإنّه كثيرا ما يجد الرجل في البرية معه حزمة الحطب لأيتامه وأرامله، فيقول ذلك الرجل: أنا مسلم ملتزم لجميع شرائع الإسلام، وأنا أتوب إلى الله وإليكم، وأذهب معكم لبلدكم، وأوافقكم في كل ما تقولون، فيقولون له: أنت أعلم الله فيك خيرا، فيقول: دعوني أصلي، فيقولون له: صلّ، فإذا سجد أهْوَوْا إليه بالسلاح وقتلوه، وبعض الأحيان يتركونه حتى يسلّم ثم يتبادرونه بالسلاح، ويشقّون بطن الأمة الحامل، ويُخرجون ولدها، ويرفعونه على الرمح ويقولون: انظر يا ربنا فِعْلَنا بهذا المشرك"[٦١].

وقد شبّه إسماعيل التميمي التونسي أتباع الدعوة السلفية بالخوارج، ثم حكم بكفرهم جميعا بعد أن نسب إليهم فرية تكفير المسلمين، وفي ذلك يقول - بعد أن ذكر مذاهب العلماء في تكفير الخوارج -: "... وعليه فالخوارج والوهابية كفرة؛ لأنّهم يكفّرون أهل السنة..."[٦٢].

وادعى المدعو الدكتور علي مقدادي الحاتمي[٦٣] أنّ الشيخ يكفّر من لم يتبعه - بعد أن نقل كلاما عنه - في قوله: "والمعنى... أنّ من لم ينطو تحت طاعة وإمرة محمد بن عبد الوهاب كافرٌ، فمن بلغته دعوته ولم يسلّم له القياد[٦٤] فهو كافرٌ؛ لأنّه صرّح بأنّ

---

(٥٩) هو عبد الله بن داود الزبيري، فقيه من أهل الزبير بقر البصرة، أقام فترة في الأحساء، من آثاره العلمية: الصواعق والرعود، توفي سنة (١٢٢٥هـ-١٨١٠م)، ينظر: الأعلام: ٨٥/٤، ومعجم المؤلفين: ٥٣/٦.

(٦٠) سورة آل عمران: ١١٠.

(٦١) الصواعق والرعود: ١١٩.

(٦٢) المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية: ١٧١.

(٦٣) لم أعثر له على ترجمة، والظاهر لا يزال على قيد الحياة.

(٦٤) كذا في الأصل، ولعل الصواب (القيادة).

الناس كانوا قبل ظهوره كفّار، ولذلك قاتلهم، فمجرّد قتاله لهم مبرِّر لتكفيرهم، لأنّهم خالفوه، ومخالفتهم له مبرِّر لقتالهم، مع العلم أنّ أغلب علماء عصره خالفوه..."[(٦٥)]، وقال في موضع آخر - بعد أن نقل عن الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد[(٦٦)] كلاما محرَّفا - ما نصه: "صرّح إمامهم ابن حميد بانقلاب الأكثرين عن الإسلام، وموالاتهم لعبدة الأوثان، وأعداء الشريعة من الملحدين، والنصارى، والرافضة، وأنّ هذا عامٌ في القرى والأمصار والبوادي، وهذا اتهام خطير من ابن حميد، فقد اتهم أكثر المسلمين بالارتداد عن الإسلام، وهذا هو المنهج الذي سار عليه محمد بن عبد الوهاب؛ حيث صرّح في أكثر من موضع من كتبه بأنّ كل من بلغته دعوته ولم يسلِّم فهو من الكافرين الذين استجاز قتلهم وقتالهم؛ لأنّهم في نظره مرتدّون، والعياذ بالله..."[(٦٧)].

وادعى كذلك أنّ أتباع الدعوة السلفية "أفتوا كلّ من أدّى فريضة الحج من أتباعهم قبل انضمامه لدعوة محمد بن عبد الوهاب فعليه الإعادة؛ لأنّه كان مشركا، وحجّ المشرك باطلٌ"[(٦٨)].

وورد في كتاب موسوم بـ(الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر) بأنّ "ابن عبد الوهاب هو أوّل من دشّن ازدواجية الخطاب السلفي الراديكالي الحديث، وأوّل من فتح مجددا باب حلّ دماء المسلمين وسبي نسائهم ونهب أموالهم، وهو أوّل من طرح مقولة التخلّص من الطاغوت، وأوّل من جارى سيرة الرسول من نداء للهجرة، وأوّل من لبِس ثوب الفرقة الناجية أو الطائفة المنصورة، في زمن يكون فيه الإسلام غريبا بين أهله..."[(٦٩)].

فمن خلال النقولات السابقة، يمكن ملاحظة ابتعاد هؤلاء القوم عن الموضوعية في مؤلفاتهم، وسعيهم الحثيث في إثبات مذاهبهم البدعية بكل وسيلة ممكنة، ولا يألون جهدا في نسب الأقوال إلى الناس دون بحث ولا تمحيص، وإنما يظهر من خلال تتبع مؤلفاتهم أنّهم يتناقلون الاتهامات فيما بينهم ضد الدعوة السلفية وأصحابها دون دليل، بل إنّ بعضهم يتعمّد الكذب في سبيل ذلك، كما سيتضح في ثنايا هذا البحث بإذن الله.

---

(٦٥) تكفير الوهابية لعموم الأمة المحمدية: ٢٧.

(٦٦) هو عبد الله بن سليمان بن حميد، عالم قاض، ولد في بريدة سنة (١٣٢٢هـ-١٩٠٤م)، وتعلم بها، ثم أخذ العلم عن آل سليم، وعمل في المحاكم، ثم صار رئيسا لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقصيم، وتولى في آخر حياته الإشراف على مدارس تحفيظ القرآن الكريم في القصيم، من آثاره العلمية: نصيحة عامة، رسالة في الربا والتحذير منه، ينظر: تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان يوسف: ٣٣٢.

(٦٧) المصدر نفسه: ٣٥-٣٦.

(٦٨) المصدر نفسه: ٣٨.

(٦٩) الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر، حمادي الرّديسي وزميلته: ١١٣.

إنّ المتأمل في النقولات السابقة، يجد أنّ أصحابها سلكوا طرقا مختلفة في سبيل النيل من الدعوة السلفية وعلمائها؛ فتارة تجدهم يحرفّون كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو أتباعه من بعده، وتارة تجدهم يُلْزِمون دعاة الدعوة السلفية بلوازم لم يقولوها ولم يعترفوا بها، ثم يصدرون عليهم أحكامهم من خلالها، وتارة يلجؤون إلى افتراء الكذب عليهم بلا حياء.

فمن أمثلة الافتراء على الشيخ الكذب ما اتهموه به من أنّه يكفِّر المسلمين بالعموم، وقد سبق نقل تفنيد الشيخ نفسه لهذه الفرية؛ حيث بينّ الصنف الذي يرى كفره في قوله: "... ولا نكفَّر إلا من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجّة، وقامت عليه الحجّة، وأصرّ مستكبرا معاندا، كغالب من نقاتلهم اليوم، يصرّون على ذلك الإشراك، ويمتنعون من فعل الواجبات، ويتظاهرون بأفعال الكبائر والمحرّمات..."(٧٠)، وفي قوله: "... وأما التكفير، فأنا أكفّر من عرف دين الرسول، ثم بعد ما عرفه سبّه ونهى الناس عنه، وعادى مَن فعله؛ فهذا هو الذي أكفّره، وأكثر الأمة - ولله الحمد - ليسوا كذلك"(٧١)، وبعد هذا البيان من صاحب الدّعوة بحقيقة دعوته، نجد من المعاصرين من لا يزال متمسكا بهذه الفرية، ويصرّ على أنّ الشيخ يكفّر بالعموم، كما هو صنيع الدكتور علي مقدادي، ومؤلف كتاب (الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر)، وغيرهم كثير!!

ومن الأكاذيب كذلك ما ادعاه صاحب كتاب (الصواعق والرعود) من أنّهم كانوا يأتون الرجل في البرية، فيُقِرُّ لهم بالالتزام بجميع شرائع الإسلام على طريقتهم - يعني على طريقة الوهابية كما يسمونهم -، ويوافق على اتباعهم إلى ديارهم في نجد، ثم يطلب ذلك الرجل الإذن بالصلاة، فيأذنون له، فإذا ما سجد أثناء صلاته يتبادرونه بالسلاح فيقتلونه، وأحيانا يتركونه يسلّم قبل قتله، وأنّهم كانوا يَبْقرون بطون المرأة الحامل، ويخرجون ولدها، ويرفعونها على الرمح، ويقولون: "انظر يا ربنا فِعْلنا بهذا المشرك"(٧٢)!!

بل ذهب أحمد زيني دحلان إلى أبعد من ذلك بادعائه أنّ الشيخ "... أمر في الأحساء أن تُجعل بعض قبور الأولياء محلا لقضاء الحاجة"(٧٣).

فيا سبحان الله! فهل ضاقت الأرض بالناس في تلك الديار، إلى درجة أنّ الشيخ لم يجد مكانا يأمر الناس باتخاذه محلا لقضاء الحاجة غير المقابر؟

أما من أمثلة تحريفهم لأقوال علماء الدعوة السلفية في سبيل تشويه حقيقة ما هم عليه، فمثل صنيع الدكتور علي مقدادي الحاتمي مع كلام الشيخ عبد الله بن حميد؛ حيث

---

(٧٠) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: ١/٢٣٥.

(٧١) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب): ٦/٣٨، والدرر السنية في الأجوبة النجدية: ١/٧٣.

(٧٢) ينظر: الصواعق والرعود: ١١٩.

(٧٣) الدرر السنية في الرد على الوهابية: ١٣٣.

نقل الكلام عن هذا الشيخ نقلا معنويا في أنّه يرى بأنّ كلّ من أدّى فريضة الحج من أتباعهم قبل انضمامه لدعوة محمد بن عبد الوهاب فعليه الإعادة؛ لأنّه كان مشركا، وحجّ المشرك باطلٌ [(٧٤)]، ثم أحال على كتاب (الدرر السنية في الأجوبة النجدية)، وعند العودة إلى الكتاب تبيّن أنّه حرّف الكلام عن وجهه، إما عن قصد أو من سوء فهم، وننقل هنا كلام الشيخ بتمامه، حيث جاء في الكتاب المشار إليه ـ عند حديثه عن حكم المرتد ـ ما نصه: "وأما السؤال الثالث، وهو قولكم ورد: (الإسلام يهدم ما قبله)، وفي رواية (يجُبُّ ما قبله)، وفي حديث حجة الوداع: (ألا إنّ دم الجاهلية كله موضوع) إلخ، وظهر لنا من جوابكم: أنّ المؤمن بالله ورسوله إذا قال أو فعل ما يكون كفرا جهلا منه بذلك، فلا تكفِّرونه حتى تقوم عليه الحجة الرسالية، فهل لو قُتل مَن هذا حاله قبل ظهور هذه الدعوة موضوع أم لا؟

فنقول: إذا كان يعمل بالكفر والشرك لجهله، أو عدم من ينبهه، لا نحكم بكفره حتى تقام عليه الحجة؛ ولكن لا نحكم بأنه مسلم، بل نقول عمله هذا كفر، يبيح المال والدم، وإن كنا لا نحكم على هذا الشخص لعدم قيام الحجة عليه؛ لا يقال: إن لم يكن كافرا فهو مسلم، بل نقول عمله عمل الكفار، وإطلاق الحكم على هذا الشخص بعينه متوقف على بلوغ الحجة الرسالية، وقد ذكر أهل العلم أنّ أصحاب الفترات يُمتحنون يوم القيامة في العرصات، ولم يجعلوا حكمه حكم الكفار، ولا حكم الأبرار.

وأما حكم هذا الشخص إذا قُتل، ثم أسلم قاتله، فإنا لا نحكم بديته على قاتله إذا أسلم، بل نقول: الإسلام يجُبّ ما قبله؛ لأن القاتل قتله في حال كفره[(٧٥)]؛ والله سبحانه وتعالى أعلم...

وأما قولكم: وهل ينفع هذا المؤمن المذكور ما معه من أعمال البر، وأفعال الخير قبل تحقيق التوحيد؟ فيقال: لا يطلق على الرجل المذكور اسم الإسلام فضلا عن الإيمان، بل يقال: الرجل الذي يفعل الكفر أو يعتقده في حال جهله وعدم من ينبهه، إذا فعل شيئا من أفعال البر وأفعال الخير؛ أثابه الله على ذلك إذا صحّح إسلامه وحقّق توحيده، كما يدل عليه حديث حكيم بن حزام: (أسلمت على ما أسلفت من خير)، وأما الحج الذي فعله في تلك الحالة، فلا نحكم ببراءة ذمته، بل نأمره بإعادة الحج؛ لأنا لا نحكم بإسلامه في تلك الحالة، والحج من شرط صحته الإسلام؛ فكيف نحكم بصحة حجه وهو يفعل الكفر أو يعتقده؟ ولكنا لا نكفِّره إلا بعد قيام الحجة عليه، فإذا قامت عليه الحجة وسلك سبيل المحجة، أمرناه بإعادة الحج؛ ليسقط الفرض عنه بيقين"[(٧٦)].

---

(٧٤) ينظر: تكفير الوهابية لعموم الأمة المحمدية: ٣٨.

(٧٥) للعلماء في مسألة العذر بالجهل اختلاف مشهور بين من مجيز وغير مجيز، وليس هنا محل نقاشه، ومذهب الشيخ ابن حميد هنا أنّ حكم الجاهل بمسائل التوحيد كحكم أهل الفترة، لا يُحكم بإسلامه من عدمه إلا بعد قيام الحجة عليه، وأما قبل ذلك فلا يسمى مسلما كما أنّ أهل الفترة لا يسمّون كذلك.

(٧٦) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: ١٠/١٣٨.

فقد تم نقل الكلام هنا بتمامه؛ لبيان كون كلام الشيخ ابن حميد مخالفا لمذهب الدكتور علي مقدادي؛ حيث إنّ الشيخ لم يقطع ببطلان الحجة الأولى للمسؤول عنه بالإطلاق، وإنما قاله من باب إبراء ذمته بيقين، ولا يخفى أنّ الفترة التي كان يتحدث عنها هي الفترة التي انتشرت فيها عقائد الشيعة بين الناس؛ من عبادة القبور، ودعاء الأموات، وغيرها، وربما ارتكب الحاج في هذه الحال في حجته من المنكرات ما يفسدها عليه وهو لا يدري، وقد ورد في الصحيح عن النبي ﷺ أنّه قال: ((من حجّ لله فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه))(٧٧)، حيث ذكر العلماء أنّ المراد من قوله ﷺ "ولم يفسق: أي لم يأت بسيئة ولا معصية"(٧٨).

دعوى تنقيص النبي ﷺ، ومنع الصلاة عليه، ومنع زيارته:

يقول أحمد زيني دحلان في ادعاء تنقيص الشيخ للنبي ﷺ: "وكان ينتقص النبي صلى الله عليه وآله وسلّم كثيرا بعبارات مختلفة، ويزعم أنّ قصده المحافظة على التوحيد؛ فمنها أن يقول إنّه طارش، وهو في لغة أهل المشرق بمعنى الشخص المُرْسَل من قوم إلى آخرين، فمراده أنّه صلى الله عليه وآله وسلم حامل كتب: أي غاية أمره أنّه كالطارش الذي يرسله الأمير أو غير(٧٩) في أمر لأناس ليبلغهم إياه ثم ينصرف... حتى أنّ بعض أتباعه كان يقول: عصاي هذه خير من محمد؛ لأنّها يُنتفع بها في قتل الحيّة ونحوها، ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلا، وإنّما هو طارش وقد مضى"(٨٠).

وزعم أنّ الشيخ كان يمنع الصلاة على النبي ﷺ في قوله: "وكان ينهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، ويتأذى من سماعهم، وينهى عن الإتيان بها يوم الجمعة، وعن الجهر بها على المنابر، ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب... ثم قال: إنّ الربابة في بيت الخاطئة: يعني أنّ الزانية أقلّ إثما ممن ينادي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلّم في المنابر..."(٨١).

كما زعم أنّ الشيخ يمنع زيارة قبر النبي ﷺ في قوله: "ومن مقابحه أنّه لما منع الناس من زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وخرج ناس من الأحساء وزاروا النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، وبلغه خبرهم، فلما رجعوا مرّوا عليه بالدرعية؛ فأمر بحلق لحائهم، ثم أركبهم مقلوبين من الدّرعية إلى الأحساء، وبلغه مرة أنّ جماعة من الذين لم

---

(٧٧) صحيح البخاري، كتاب الحج، (باب فضل الحج المبرور)، حديث رقم (١٥٢١): ١٣٣/٢، ومسلم، كتاب الحج، (باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة)، حديث رقم (١٣٥٠): ٩٨٣/٢، واللفظ للبخاري.

(٧٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: ٣٨٢/٣.

(٧٩) كذا في الأصل، ولعل الصوب (غيره).

(٨٠) الدرر السنية في الرد على الوهابية: ١١٠-١١١.

(٨١) المصدر نفسه: ١٠٨-١٠٩.

يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة والحج، وعبروا على الدّرعية، فسمعه بعضهم يقول لمن اتبعه: خلوا المشركين يسيرون في طريق المدينة..."[٨٢].

ويزعم علوي أحمد الحداد[٨٣] - أحد خصوم الدعوة الإصلاحية في اليمن - بأنّ الشيخ كان ينهى عن الصلاة على النبي ﷺ على المنابر، وذكر أنّه كان يقول: "... إنّ الربابة في بيت الخاطئة أقل إثما ممن يناجي ويذكر بالصلاة على النبي ﷺ على المنابر..."[٨٤].

وقال في ادعاء منع الشيخ الرحلة لزيارة قبر النبي صلى ﷺ بما نصه: "اعلم أنّ من هفوات النجدي منعه الرحلة[٨٥] لزيارة سيد المرسلين وخاتم النبيين، وحبيب رب العالمين محمد صلى ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين وسلم عليهم أجمعين، بل زار ناس من الأحساء فلما وصلوا إليه إلى الدرعية حلق لحاهم، وأركبهم مقلوبين من الدرعية إلى الأحساء، حتى إنه في هذه السنة الذي[٨٦] عبروا عليه إلى الدرعية من الآفاق، وقصدهم الزيارة للنبي والحج، سمعه بعضهم يقول: المشركين، خلوهم يسيرون طريق المدينة..."[٨٧].

ويقول عبد الله بن داود الزُّبيري - وهو بصدد الرد على الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود[٨٨] - ما نصه: "وأما حق الرسول: فأعظم مما قلت، فإنّ من حقه الشّفاعة، فمن أنكر سؤالها منه: فقد استنقصه، ولا يخفى استنقاصكم رسول الله ﷺ في مواضع لا تُحصى؛ فإنّكم كثيرا ما تقولون: ترى النبي طُوَيْرِش، ترى النّبي مُنَيْدِب،

---

(٨٢) الدرر السنية في الرد على الوهابية: ١٠٨.

(٨٣) هو علوي بن أحمد بن حسن بن عبد الله بن علوي الحداد، ولد ونشأ في قرية حاوى تريم سنة (١١٦٢ه)، وكانت له رحلات كثيرة إلى الحرمين والأقاليم العمانية، وكان كثير الزيارة لضرائح الصالحين، وكان من أشد أعداء دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، من آثاره العلمية: السيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر، ومصباح الأنام، توفي سنة (١٢٣٢ه)، ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين، عبد الله بن حامد السقاف العلوي: ٤٣/٣-٤٧.

(٨٤) مصباح الأنام وجلاء الظلام: ١٢٥، ١٢٧.

(٨٥) الكلام صريح في أنّ الشيخ كان يمنع شدّ الرحال لزيارة النبي ﷺ، ولم يكن يمنع الزيارة نفسها بالإطلاق.

(٨٦) كذا في الأصل، ولعل الصواب (التي).

(٨٧) مصباح الأنام وجلاء الظلام: ١٣٥-١٣٦.

(٨٨) هو عبد العزيز بن محمد بن سعود، إمام من أمراء آل سعود في دولتهم الأولى، وكانت عاصمتها (الدرعية) بنجد، ولد سنة (١١٣٢ه-١٧٢٠م)، ولي بعد وفاة والده سنة (١١٧٩ه)، واتسع نطاق الدولة أيامه، وكان مغوارا شديد البأس، يباشر الملاحم بنفسه، اغتاله رجل من أهل العمادية (من ديار الجزيرة) في جامع الدرعية سنة (١٣٠٨ه-١٨٩٠م)، ينظر: الأعلام: ٢٧/٤.

والحاذق منكم يقول: ترى الله طرّش لكم طارش"(٨٩)، ومن ذلك قوله: "ونقل لنا من نثق به عن ابن فاضل أنّه قال لأهل الأحساء: عصا(٩٠) هذه أنفع من النبي؛ لأنّه مات، والعصا تنفع وتدفع الحيّة ونحوها"(٩١).

وقد ورد من الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من بعده ما يفنّد هذه الافتراءات في حقّ النبي ﷺ، فمن ذلك قول الشيخ: "فما ذكره المشركون على أني أنهى عن الصلاة على النبي، أو أني أقول: لو أنّ لي أمراً هدمت قبة النبي ﷺ، أو أني أتكلم في الصالحين، أو أنهى عن محبتهم، فكل هذا كذب وبهتان، افتراه عليّ الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل..."(٩٢).

ويقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب(٩٣) في ذلك: "وأما ما يُكذب علينا - سترا للحق، وتلبيسا على الخلق - بأنّا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا: النبي رمة في قبره، وعصا أحدنا أنفع له منه، وليس له شفاعة، وأنّ زيارته غير مندوبة... وأنّا ننهى عن الصلاة على النبي ﷺ، ونحرِّم زيارة القبور المشروعة مطلقا... فلا وجه لذلك، فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استُفْهِمْنا عنها من ذكر أو لا، كان جوابنا في كل مسألة من ذلك: سبحانك هذا بهتان عظيم، فمن روى عنا شيئا من ذلك، أو نسبه إلينا، فقد كذب علينا وافترى"، ثم بيّن عقيدتهم في حق النبي ﷺ في قوله: "والذي نعتقده أنّ رتبة نبينا محمد ﷺ أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنّه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنْزيل؛ إذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنّه يسمع سلام المسلِّم عليه، وتسنّ زيارته، إلا أنّه لا يُشدُّ الرّحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه، إذا قُصد مع ذلك الزيارة فلا بأس، ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه - عليه الصلاة والسلام - الواردة عنه، فقد فاز بسعادة الدارين، وكفي همه وغمه، كما جاء في الحديث عنه"(٩٤).

---

(٨٩) الصواعق والرعود: ٢٤٩.

(٩٠) كذا في الأصل، ولعل الصواب (عصاي)، وقد صححه محقق الكتاب بالاستناد إلى كتاب مصباح الأنام وجلاء الظلام لعلوي أحمد الحداد، ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٩، من الهامش رقم: ٥.

(٩١) الصواعق والرعود: ٢٤٩-٢٥٠.

(٩٢) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب): ٥٢/٥.

(٩٣) هو عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، فقيه حنبلي، ولد ونشأ في الدرعية سنة (١١٦٥هـ-١٧٥٢م)، وتفقه على أبيه وغيره، وكان مرجع القضاء المملكة السعودية في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد، وابنه سعود، وحفيده عبد الله بن سعود، وقد تم اعتقاله بعد استيلاء إبراهيم باشا على الدرعية، وأُرسل إلى مصر، فتوفي بها سنة (١٢٤٢هـ-١٨٢٦م)، من آثاره العلمية: جواب أهل السنة النبوية، الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، ينظر: الأعلام: ١٣١/٤، ومعجم المؤلفين: ٢٦٨/٤.

(٩٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: ٢٢٩/١-٢٣٠.

ويقول الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود مبينا عقيدتهم في وجوب تعظيم النبي ﷺ: "وأما قولك: إنّ أناسا من أصحابنا ينقمون عليكم في تعظيم النبي المختار ﷺ، فنقول: بل الله سبحانه افترض على الناس محبة النبي ﷺ وتوقيره، وأن يكون أحبّ إليهم من أنفسهم، وأولادهم، والناس أجمعين، لكن لم يأمرنا بالغلو فيه، وإطرائه، بل هو صلى ﷺ نهى عن ذلك... "(٩٥).

ويقول الشيخ سليمان بن سحمان(٩٦) في الردّ على هذه الفرية: "... منها قولهم: إنّ العصا خير من محمد لأنّها يُنتفع بها، ومحمد قد مات، فأي نفع منه، ويحرّمون الصلاة والتسليم عليه ولو في التشهّد، ويقولون إنّه شرك بالله، ويقتلون من يتلفظ بها، ومنها قولهم: إنّ الربابة في بيت الزانية أقل إثما من الصلاة والتسليم على محمد... فالجواب أن نقول: هذا كله كذب وافتراء على الشيخ، ما تكلم بهذا، ولا قاله، ولا نقله أحد يُعتدّ بنقله، بل هذا من الموضوعات الملفَّقة، وصريح الإفك والزندقة، وهذه رسائل الشيخ ومصنفاته موجودة مشهورة، ليس فيها شيء من هذه الترهات والأقاويل الباطلة والتلفيقات، إن هي إلا أوضاع وضعتموها من عند أنفسكم؛ لتموِّهوا بها أعين الناس، وتنفِّروا بها عن الدخول في دين الله ورسوله بغيا وعدوانا... "(٩٧).

وقد ردّ الشيخ صالح بن محمد الشثري(٩٨) على فرية منع أتباع الدعوة السلفية من زيارة قبر النبي صلى ﷺ بقوله: "... ونحن بحمد الله لا ننكر الزيارة الشرعية، بل إذا شدّ الرحل إلى مسجد ﷺ وصلى فيه، ثم أتى إلى الحجرة، فسلَّم على النبي ﷺ وعلى صاحبيه كما فعل ابن عمر وأنس بن مالك، فهذا بحمد الله لا ننكره، وأما شدّ الرحال إلى زيارة المشاهد وقبور الأنبياء والصالحين، فبدعة سوداء، وعماوة ظلماء، نسأل الله السلامة؛ حيث لم تُفعل في القرون المفضلة، فلا وسّع الله على من لم يسعه ما وسعهم"(٩٩).

---

(٩٥) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: ٢٧٢/١.

(٩٦) هو سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان النجدي، كاتب فقيه، من علماء نجد، ولد في إحدى قرى أبها سنة (١٢٦٨هـ-١٨٥٢م)، وانتقل مع أبيه إلى الرياض، فتلقى من علمائها التوحيد والفقه واللغة، وتولى الكتابة للإمام عبد الله بن فيصل فترة من الزمن، ثم تفرغ للعلم، من آثاره العلمية: الضياء الشارق في رد شبهات المذق المارق، والصواعق المرسلة، ينظر: الأعلام: ١٢٦/٣.

(٩٧) كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام: ١١٤.

(٩٨) هو صالح بن محمد بن حمد الشثري، ولد في حوطة بني تميم في منتصف القرن الثالث عشر الهجري، تعلم في بداية أمره في بلدته ثم في الرياض، وصار من كبار العلماء، ومن آثاره العلمية: الرد على دحلان، وكتاب في علم الفلك، وكتاب في الأنساب، توفي سنة (١٣٠٩هـ)، ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون: ٥٣٣/٢-٥٣٥.

(٩٩) تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان: ٣٥.

فيتضح من هذه النقولات أنّ الذي كان ينكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من بعده، هو الغلو في النبي ﷺ إلى درجة وصفه بصفات ألوهية، وهذا قد نهى عنه النبي ﷺ نفسه في قوله: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله))(١٠٠)، كما أنّهم لم يكونوا يمنعون الناس عن الصلاة على النبي ﷺ مطلقا كما يزعمه هؤلاء، وإنما كانوا يمنعون ما شاع بين الناس من الجهر بالصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان، وفي ليلة الجمعة؛ بهدف تذكير الناس بيوم الجمعة، فهذا الذي منعوه باعتباره بدعة محدثة، لم تُعهد في القرون الفاضلة، كما أنّهم لم يمنعوا من زيارة قبر النبي ﷺ كما يقال، وإنّما منعوا شدّ الرحل إليه، أما إن كان شدّ الرحل من أجل المسجد النبوي الشريف، وقُصدت معه زيارة قبره ﷺ فلا حرج في ذلك(١٠١)، كما منعوا الزيارات البدعية والشركية للقبور كلها، والتي تقترن بدعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، والتبرك بقبورهم(١٠٢)، وأما عن ادعائهم بأنّ أتباع الدعوة السلفية يزعمون أنّ عِصِيَّهم خيرٌ من النبي ﷺ، فهذا افتراء لم يقله أحدٌ منهم.

دعوى تنزيل آيات نزلت في المشركين على الموحِّدين(١٠٣):

من ذلك قول سليمان بن عبد الوهاب مخاطبا أنصار الدعوة السلفية: "... ولكن ليس هذا بأعجب من استدلالكم بآيات نزلت في الذين قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةًۖ قُلِ اللَّهُۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰۚ قُلْ لَا أَشْهَدُۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٠٤)، والذين يقولون: وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(١٠٥)، والذين يقولون: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (١٠٦)، ومع هذا تستدلون بهذه الآيات، وتنزّلونها على الذين يشهدون

(١٠٠) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، (باب قول الله (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها))، حديث رقم (٣٤٤٥): ١٦٨/٤.

(١٠١) ينظر: تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان: ٣٥.

(١٠٢) ينظر: شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، د. صالح بن فوزان الفوزان: ١٥٣-١٥٤.

(١٠٣) الموحِّدون عندهم: من كانوا يستغيثون بالأموات، وينذرون لهم، ويذبحون للجنّ!

(١٠٤) سورة الأنعام: ١٩.

(١٠٥) سورة الأنفال: ٣٢.

(١٠٦) سورة ص: ٥.

أن لا إله إلى الله وأنّ محمدا رسول الله، ويقولون: ما لله من شريك، ويقولون: ما أحد يستحق أن يُعبد مع الله..."[١٠٧].

ويقول أحمد زيني دحلان عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "... وتمسك في تكفير المسلمين بآيات نزلت في المشركين، فحملها على الموحِّدين"[١٠٨].

وقال علوي أحمد الحداد ردا على الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "... وأما ما استدلّ به من الآيات الكريمة على تكفير المسلمين... فهي إنّما أُنزلت في حقّ الكفار المنكرين للقرآن والرسول... فإذا تأملت هذه الآيات القرآنية التي جعلها حجة له على تكفير المسلمين، وجدته قد خَبَط خَبْط عشواء، وركب متن عمياء؛ إذ لا حجة له فيها أصلا على المسلمين..."[١٠٩].

وقال إسماعيل التميمي التونسي - وهو بصدد تشبيه أتباع الدعوة السلفية بالخوارج - ما نصه: "... انطلقوا إلى الآيات النازلة في المشركين، فجعلوها في المؤمنين..."[١١٠].

فالظاهر من هذه الشبهة أنّها من تلبيسات خصوم الدعوة السلفية بقصد التمويه على العامة؛ حيث جعلوا عبّاد القبور مسلمين موحّدين، لأنهم ينطقون بالشهادتين، ويعترفون بأنّ الله هو المؤثِّر الذي بيده النفع والضر، ولا يضر بعد ذلك وقوعهم في تلك الشركيات[١١١]، مع أنّ الله تعالى يقول في حقّ أمثال هؤلاء: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ [١١٢]؛ فقد ورد في تفسير هذه الآية ما يدلّ على أنّ الإنسان قد ينطق بالشهادتين، ويوحّد الله في ربوبيته، وما ذلك يقع في الشرك بالله في عبادته، يقول الشيخ السعدي في ذلك: "فهم وإن أقروا بربوبية الله تعالى، وأنه الخالق الرازق المدبِّر لجميع الأمور، فإنهم يشركون في ألوهية الله وتوحيده"[١١٣].

وقد تصدى أئمة الدعوة السلفية وعلماؤها للرد على هذه الافتراءات، بما يؤكد ما سبق ذكره من ابتعاد هؤلاء القوم عن الموضوعية في كتاباتهم، وانجراراهم نحو تحقيق أهواء أنفسهم.

---

(١٠٧) الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية: ٣٤.

(١٠٨) الدرر السنية في الرد على الوهابية: ١١٩، وينظر مثله في: ٧٩، ٨٢، ٩٥-٩٧.

(١٠٩) مصباح الأنام وجلاء الظلام: ٣٣-٣٤.

(١١٠) المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية: ١٦٨.

(١١١) ينظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٢٢٧.

(١١٢) سورة يوسف: ١٠٦.

(١١٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٤٠٦.

من ذلك قول الشيخ عبد الله أبا بطين[١١٤]: "أما قول من يقول: إنّ الآيات التي نزلت بحكم المشركين الأولين، فلا تتناول من فَعَل فعلَهم، فهذا كفر عظيم، مع أنّ هذا قولٌ ما يقوله إلا ثورٌ مرتكس في الجهل، فهل يقول: إنّ الحدود المذكورة في القرآن والسنة لأناس كانوا وانقرضوا؟ فلا يُحدّ الزاني اليوم، ولا تُقطع يد السارق، ونحو ذلك، مع أنّ هذا قولٌ يُستحيى مِن ذِكره، أفيقول هذا: إنّ المخاطبين بالصلاة والزكاة وسائر شرائع الإسلام انقرضوا، وبطل حكم القرآن؟"[١١٥].

ويقول الشيخ محمد بشير السهسواني[١١٦] ردا على هذا الافتراء: "إنّما تمسّك الشيخ في تكفير الذين يُسمُّون أنفسهم مسلمين - وهم يرتكبون أمورا مكفِّرة - بعموم آيات نزلت في المشركين، وقد ثبت في علم الأصول أنّ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، وهذا مما لا مجال لاختلاف فيه لأحد"[١١٧].

ويقول الشيخ سليمان بن سحمان في تفنيد هذا الافتراء: "فمن فعل كما فعل المشركون من الشرك بالله، بصرف خالص حقه لغير الله من الأنبياء والأولياء والصالحين، ودعاهم مع الله، واستغاث بهم كما يستغيث بالله، وطلب منهم ما لا يُطلب إلا من الله، وتعلّق عليهم ولجأ إليهم في جميع مهماته وملماته، فما المانع من تنزيل الآيات على من فعل كما فعل المشركون وتكفيره، وقد ذكر أهل العلم أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولكن إذا عميت قلوبكم عن معرفة الحق، وتنزيل ما أنزله الله في حق المشركين على من صنع صنيعهم واحتذا حذوهم، فلا حيلة فيه..."[١١٨].

فالحاصل أنّ المناوئين للدعوة السلفية التي نادى إليها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب كانوا يلحثون وراء كل شبهة لتشويه هذه الدعوة المباركة؛ فكانوا في سبيل ذلك لا يتورعون في إلصاق التهم والافتراءات بالشيخ وأتباعه دون أدنى حياء، بل كانوا

---

(١١٤) هو عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، فقيه الديار النجدية في عصره، ولد في الروضة إحدى قرى سدير سنة (١١٩٤هـ-١٧٨٠م)، ورحل إلى الشام وعاد، فولي قضاء الطائف، ثم قضاء عنيزة وبلدان القصيم، ومن آثاره العلمية: مختصر بدائع الفوائد، والانتصار للحنابلة، وتأسيس التقديس في كشف شبهات ابن جرجيس، ينظر: الأعلام: ٩٧/٤، ومشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ: ١٧٦.

(١١٥) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: ٤١٨/١٠.

(١١٦) هو محمد بن بشير بن بدر الدين السهسواني الهندي، عالم بالحديث والفقه، ولد حوالي سنة (١٢٥٠هـ-١٨٣٤م) في لكهنؤ بالهند، وتعلم في دهلي، وعلم العربية الفارسية في كلية (آكره)، ودعاه النوآب صديق حسن خان وفوض إليه رئاسة المدارس الدينية، من آثاره العلمية: الحق الصريح في إثبات حياة المسيح، وصيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان، توفي سنة (١٣٢٦هـ-١٩٠٨م)، ينظر: الأعلام: ٥٣/٦، ومعجم المؤلفين: ١٠٣/٩.

(١١٧) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان: ٤٨٧.

(١١٨) كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام: ١٩٥.

يتعمدون الكذب عليهم لتحقيق أغراضهم في تنفير الناس عن هذه الدعوة، والأدهى من ذلك أننا نجدهم يُصِرّون على نشر الافتراءات نفسها، مع أنّ الشيخ نفاها عن نفسه، أو نفاها أتباعه من بعده.

ولا يُستغرب هذا الفعل منهم؛ وبخاصة إذا ما أدركنا أنّهم كانوا يقصدون من وراء ذلك القضاء على هذه الدعوة المباركة، وما كان ليتم لهم تحقيق ذلك إلا بافتراء الأكاذيب على أصحابها، وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(١١٩).

المطلب الثالث: تصريح أصحابها بمذاهبهم البدعية

إنّ المتتبع لمؤلفات خصوم الدعوة السلفية في هذه الفترة المدروسة، يلاحظ أنّهم كثيرا ما يصرحّون بمذاهبهم البدعية، ويجمعون في ذلك كافة الشبهات الممكنة للدلالة على شرعية مذاهبهم، مع الحرص منهم على الرد على علماء الدعوة السلفية القائلين بعدم جواز معظم تلك الممارسات؛ لأنّها عبادات، وأنّ صرف شيء منها لغير الله تعالى شركٌ.

والمتأمل في الخلاف المشاهد بين أئمة الدعوة السلفية ومخالفيهم، يلاحظ أنّ سببه راجعٌ إلى حدّ الكفر المخرج من الملة؛ فقرر أئمة الدعوة نواقض الإسلام بالاستناد إلى نصوص الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، أما مخالفيهم، فقد تخبطوا في ذلك؛ لاستنادهم إلى أدلة غير معتبرة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والمنامات عن أسيادهم؛ فنتج عن ذلك حصرهم الكفر في حدود ضيّقة كما في قول أحدهم: "الكفر عبارة عن التكذيب الذي هو ضد التصديق"(١٢٠)؛ فأخرجوا بذلك كثيرا من المكفرات - مما جاءت الأدلة على اعتبارها كذلك -، واعتبروها غير داخلة في نواقض الإسلام(١٢١).

وقد كثرت المسائل التي أثارها هؤلاء الخصوم للدعوة السلفية في باب العقائد، إما بالاجتهاد في إثبات مشروعيتها بكل الوسائل الممكنة، وإما بالرد على أئمة الدعوة السلفية في إنكارهم لها، ودعوة الناس إلى تركها، وسيتم الاكتفاء هنا بمسألة (التوسّل) منها للدلالة على تصريحاتهم بمذاهبهم البدعية في هذه الفترة؛ لكثرة أقوالهم وتشعّبها في هذه المسائل من ناحية، وباعتبار أنّ مسألة التوسّل هي الأساس الذي بنوا عليه كثيرا من

---

(١١٩) سورة يوسف: ٢١.

(١٢٠) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر، حمد الله الداجوي: ٢٠.

(١٢١) ينظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ١٩٣-١٩٤.

معتقداتهم القبورية -كالاستغاثة بالأموات[١٢٢]، والتبرك بقبورهم وآثارهم[١٢٣] - من ناحية أخرى، وسيتم تعقيب أقوالهم ببيان موقف علماء الدعوة السلفية منها.

تجويز التوسل بالأنبياء والصالحين:

لقد زعموا أنّ التوسل بالأنبياء والصالحين هو مذهب أهل السنة، فيقول أحمد زيني دحلان: "والحاصل أنّ مذهب أهل السنة والإجماع صحة التوسل، وجوازه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد وفاته، وكذلك بغير[١٢٤] من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... وكذا بالأولياء والصالحين لا فرق بين كونهم أحياء وأمواتا..."[١٢٥]، ويقول: "فالتوسل والتشفّع والاستغاثة كلها بمعنى واحد، وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلا التبرك بذكر أحبّاء الله تعالى؛ لما ثبت أنّ الله تعالى يرحم العباد بسببهم، سواء كانوا أحياء أو أمواتا..."[١٢٦]، ويقول: "وحياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم ثابتة عند أهل السنة بأدلة كثيرة: منها حديث: ((مررت على موسى ليلة أسري بي يصلي في قبره))[١٢٧]..."[١٢٨]، وقال في موضع آخر: "ثم إنّ الحياة الثابتة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وللشهداء ليست مثل الحياة الدنيوية، بل هي حياة تشبه حال الملائكة، ولا يعلم صفتها وحقيقتها إلا الله تعالى..."[١٢٩]، ويرد على منكري التوسل بقوله: "وأما منع التوسل مطلقا[١٣٠] فلا وجه له مع ما في الأحاديث الصحيحة،

---

(١٢٢) ينظر في ذلك مثلا كتاب: شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، ليسوف النبهاني؛ فقد اجتهد في إثبات مشروعية الاستغاثة بالنبي ﷺ، وكذلك كتاب: البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر، وغيرهما الكثير.

(١٢٣) ينظر: الصواعق والرعود في الرد على الوهابية، عبد الله بن داود الزبيري: ٣٨٠، والدرر السنية في الرد على الوهابية: ١٠٢-١٠٣.

(١٢٤) كذا في الأصل، ولعل الصواب (بغيره).

(١٢٥) الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٣٧.

(١٢٦) المصدر نفسه: ٣٨.

(١٢٧) أخرجه الإمام النسائي في سننه بلفظ: ((مررت على قبر موسى عليه السلام وهو يصلي في قبره))، في كتاب قيام الليل وتطوع النهار، (باب ذكر صلاة رسول الله ﷺ بالليل)، حديث رقم (١٦٣٣): ٢١٦/٣، وصححه الألباني.

(١٢٨) الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٣٩.

(١٢٩) المصدر نفسه: ٤٠.

(١٣٠) ليس من أهل السنة من منع التوسل مطلقا كما يزعم، وإنما منعوا التوسل البدعي الشركي بالأموات.

وصدوره من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأصحابه وسلف الأمة وخلفهم، فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه، منهم من يجعله محرما ومنهم من يجعله كفرا وإشراكا، وكل ذلك باطل؛ لأنه يؤدي إلى اجتماع معظم الأمة على ضلالة، ومن تَتَبع كلام الصحابة وعلماء الأمة سلفها وخلفها، يجد التوسل صادرا منهم، بل ومن كل مؤمن في أوقات كثيرة، واجتماع أكثر الأمة على محرّم أو كفر لا يجوز ..."[١٣١]، ويقول في موضع آخر: "فقد اتضح لك من... النصوص المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأصحابه، وسلف الأمة وخلفها، أنّ التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم، وزيارته، وطلب الشفاعة منه ثابتة عنهم قطعا بلا شك ولا مرية، وأنّها من أعظم القربات، وأنّ التوسل به واقع قبل خلقه، وبعد خلقه في حياته، وبعد وفاته، وسيكون التوسل به أيضا بعد البعث في عرصات القيامة"[١٣٢].

ويقول صاحب كتاب (تعريف الأنام) في تجويز التوسل بالأموات: "... فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم؛ فإنهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه، وقد تقرر في الشرع وعُلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء، وذلك كثير مشهور، وما زال الناس من العلماء والأكابر كابرا عن كابر مشرقا ومغربا، يتبركون بزيارة قبورهم، ويجدون بركة ذلك حسا ومعنى"[١٣٣].

ويقول صاحب كتاب (الصواعق والرعود) في إثبات جواز التوسل بالنبي ﷺ بعد موته - نقلا عمن سماهم محققين -: "... إنّ التوسل والتشفع به ﷺ في حياته وبعد وفاته مما قام عليه الإجماع، أعني: الإجماع السكوتي، والصحيح أنّه حجة..."[١٣٤].

وقد تمسكوا في سبيل ذلك بمجموعة من الشبه لتأكيد مذهبهم، منها قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا [١٣٥]، زاعمين أنّ

---

(١٣١) الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٤٢.

(١٣٢) المصدر نفسه: ٦٦.

(١٣٣) تعريف الأنام في التوسل بالنبي وزيارته عليه الصلاة والسلام: ١٢-١٣.

(١٣٤) الصواعق والرعود: ٢٤٦.

(١٣٥) سورة النساء: ٦٤.

كافة العلماء فهموا من الآية عمومها في حالتي الحياة والممات[١٣٦]، ومنها قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [١٣٧]، فالوسيلة عندهم: كل ما يُتقرب به من قرابة أو صنيعة أو غيرهما، فيدخل في ذلك التوسل به ﷺ من باب أولى[١٣٨]، ومنها[١٣٩] ما رواه الإمام الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء قال: (قُحط أهل المدينة قحطا شديدا، فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى إلى السماء، حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا؛ فمُطرنا مطرا حتى نبت العُشب، وسمنت الإبل حتى تفتقَّت من الشحم، فسُمي عام الفتق)[١٤٠]، ومنها قياسهم جواز التوسل بذوات الأنبياء والصالحين على جواز التوسل بالأعمال الصالحة، كما في حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار؛ وبناء عليه ذهبوا إلى أنّ التوسل به ﷺ أحق وأولى؛ لما فيه من النبوة والفضائل[١٤١]، سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته، ومنها تمسكهم بتوسل عمر بن الخطاب بدعاء العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما في الاستسقاء عام الرمادة[١٤٢]، وزعموا أنّ الإمام أحمد توسل بالإمام الشافعي، وأنّه بلغ الإمامَ الشافعيَّ توسلُ أهل المغرب بالإمام مالك فلم ينكر عليهم ذلك[١٤٣].

---

(١٣٦) ينظر: الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٥٧، ومصباح الأنام وجلاء الظلام: ١٠٥، ١٧٠-١٧١.

(١٣٧) سورة المائدة: ٣٥.

(١٣٨) ينظر: المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية: ٩٢.

(١٣٩) ينظر: الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٥٥.

(١٤٠) سنن الدارمي، (باب ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته)، حديث رقم (٩٣): ٢٢٧/١، وقد ضعفه الألباني، ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه: ١٢٦-١٢٧.

(١٤١) ينظر: مصباح الأنام وجلاء الظلام: ١٠٣، وينظر مثله في: المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية: ٩٢.

(١٤٢) ينظر: الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٧٠، وانظر مثله في: تعريف الأنام في التوسل بالنبي وزيارته عليه الصلاة والسلام، ابن الحاج: ١٢.

(١٤٣) ينظر: الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٧٢-٧٣.

كما تمسكوا ببعض الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ في دعواهم، منها (توسلوا بجاهي، فإنه عند الله عظيم)[١٤٤] وغيره من الأحاديث السائرة على هذا المعنى، كما ادعوا بأنّ آدم عليه السلام قد توسل بالنبي ﷺ في توبته إلى الله تعالى؛ فقَبِل الله توبته لذلك[١٤٥].

وليس المقام هنا مقام الإطناب، وإلا لتَمَّ نقلُ أكبر قدر ممكن مما شَحنوا به كتبهم في هذه المسألة من الأكاذيب، والأحاديث الموضوعة، وما نقلوه من منامات عن أسيادهم في إثبات ما وقع للناس من الانتفاع بالتوسل بالأنبياء والصالحين، وسيتم ذكر أقوال العلماء من أتباع الدعوة السلفية بما يدحض مزاعمهم.

لقد بيّن العلماء من أتباع الدعوة السلفية أنّ المراد بالوسيلة الواردة في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [١٤٦] إنما هو "الأمر بابتغاء ما يُتقرّب به إلى الله، وهو أمر مجمل لا يؤخذ بيانه إلا من الشرع[١٤٧]، فمن ادّعى في شيء من الأشياء أنّه يُتقرّب به إلى الله تعالى، كُلِّف بإبراز حجة من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله"[١٤٨]؛ وعليه فإنّ التقربّ إلى الله تعالى إنما يكون بفعل أوامره، واجتناب نواهيه[١٤٩]؛ فاتضح بذلك من أقوالهم أنّ من التوسل ما هو مشروع وما هو مبتدع مذموم، وأنّه لا يجوز الإقدام على شيء منها إلى بدليل معتبر من الكتاب والسنة.

كما بينوا أنّ الوسائل تنقسم إلى قسمين: الوسائل الكونية، والوسائل الشرعية:

فأما الوسيلة الكونية: فهي كل سبب طبيعي يُوصل إلى المقصود بخلقته التي خلقه الله عليها؛ مثل الطعام، فهو وسيلة إلى شبع الإنسان، والسيارة وسيلة إلى انتقاله من مكان إلى مكان.. إلخ، ويشترك فيها المؤمن والكافر، ويُشترط في جواز استعمالها

---

(١٤٤) قال الشيخ الألباني عن هذا الحديث: "هذا باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث البتة، وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة..."، ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه: ١١٥.

(١٤٥) ينظر: مصباح الأنام وجلاء الظلام: ١٠٣، ١٠٤.

(١٤٦) سورة المائدة: ٣٥.

(١٤٧) وينظر مثله في: تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان: ٧٩.

(١٤٨) تحقيق الكلام في المسائل الثلاث: ٢٦٠.

(١٤٩) ينظر: المصدر نفسه، وتأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس: ١١١، والتوسل أنواعه وأحكامه: ١٤.

شرطان: أن تكون مباحا في الشرع، وأن تكون قد ثبت بالتجربة أنها تُحقِّق المطلوب، أو غلب ذلك على الظنّ.

وأما الوسيلة الشرعية: فهي كل سبب يُوصل إلى المقصود عن طريق ما شرعه الله تعالى، وبيَّنه في كتابه وسنة نبيه ﷺ، وهي خاصة بالمؤمن المتبِّع لأوامر الله، والمجتنب لنواهيه، وذلك مثل النطق بالشهادتين بإخلاص وفهم، فهو وسيلة إلى دخول الجنة والنجاة من النار.. إلخ، وهذا وأمثاله إنما عرفنا كونها وسيلة لتحقيق تلك الغايات العالية عن طريق الشرع وحده، وليس عن طريق التجربة أو الحس[١٥٠]!!

ثم بينوا أنّ التوسل المشروع يتنوع إلى ثلاثة أنواع[١٥١]:

أولها: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى، أو صفة من صفاته العليا: وذلك كأن يقول المسلم: (اللهم إني أسألك بأنّك الله الغفور الرحيم أن تغفر لي ذنوبي)، ومثله قول القائل: (اللهم إني أسألك بحبِّك لنبيِّك محمد ﷺ أن تفغر لي ذنوبي)؛ وذلك لأنّ الحبّ من صفات الله سبحانه وتعالى، وأدلة هذا النوع كثيرة في الكتاب والسنة، فمن الكتاب العزيز قوله تعالى: وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍۖ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ [١٥٢]؛ أي ادعوا الله تعالى متوسِّلين إليه بأسمائه الحسنى، ولا شك أنّ صفاته العليا داخلة في ذلك؛ لما ذكره الله تعالى من دعاء سليمان عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ [١٥٣]، فقد توسل برحمة الله تعالى، وهي صفة من صفاته سبحانه، ومن السنة ما روي أنّ النبي ﷺ سمع رجلا يقول في تشهّده: (اللهم إني أسألك يا الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم)، فقال ﷺ: ((قد غفر له، قد غفر

(١٥٠) ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه: ١٧-١٨، ٢٢.

(١٥١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠ وما بعدها، وفتح المنان في نقض شبه الضال دحلان، زيد بن محمد آل سليمان: ٧٩-٨٠.

(١٥٢) سورة الأعراف: ١٨٠.

(١٥٣) سورة النمل: ١٩.

له))[١٥٤]، وثبت من أدعيته ﷺ أنّه كان يقول قبل السلام من صلاته: ((اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفَّني إذا علمت الوفاة خيرا لي...))[١٥٥].

وثانيها: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به المتوسِّل: وذلك كأن يقول المسلم: (اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتّباعي لرسولك، اغفر لي ذنوبي)، أو كقول القائل: (اللهم إنّي أسألك بحبِّي لمحمد ﷺ، وإيماني به، أن تفرِّج عني همي وغمي)، وكأن يذكر عملا صالحا ذا بال صدر منه، فيه خوفه من الله تعالى وتقواه إياه، ثم يتوسل به إلى ربّه في دعائه، ويدل على مشروعية هذا النوع قوله تعالى: فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ[١٥٦]، ومن الأدلة على هذا النوع من السنة ما تضمنته قصة أصحاب الغار الذين توسلوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم[١٥٧].

وثالثها: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الحيّ:

وذلك كأن يقع المسلم في ضيق، ويعلم من نفسه التقصير في جنب الله تعالى، فيذهب إلى من يعتقد فيه الصلاح والتقوى، أو الفضل والعلم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فيطلب منه أن يدعو له ربه؛ ليفرِّج عنه كربه، ويزيل عنه همه، وهذا النوع مشروع دلت عليه أدلة من السنة النبوية المطهرة، منها ما روي من استسقاء عمر بن الخطاب بدعاء العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه (أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل

---

(١٥٤) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، (باب ما يقول بعد التشهد)، حديث رقم (٩٨٥): ٢٥٩/١، وصححه الألباني.

(١٥٥) سنن النسائي، كتاب التطبيق، (باب الدعاء بعد الذكر)، حديث رقم (١٣٠٥): ٥٤/٣، وصححه الألباني.

(١٥٦) سورة آل عمران: ٥٣.

(١٥٧) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، (باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره...)، حديث رقم (٢٢٧٢): ٩١/٣، وصحيح مسلم، كتاب الرِّقاق، (باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال)، حديث رقم (١٠٠): ٢١٠٠/٤.

إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون)[١٥٨]، وقد بيّن العلماء بأنّ مقصود عمر ﷺ: إننا كنا نقصد النبي ﷺ ونطلب منه أن يدعو لنا، ونتقرب إلى الله تعالى بدعائه، والآن وقد انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا، فإنا نتوجه إلى عمه ﷺ، ونطلب منه أن يدعو لنا، وليس معناه أنهم كانوا يتوسلون بجاه النبي ﷺ قبل وفاته، ثم صاروا يتوسلون بجاه عمه العباس ﷺ بعد وفاته ﷺ[١٥٩]؛ إذ لم يثبت أنّ أحدا من الصحابة أتى إلى قبره ﷺ ويطلب منه الدعاء أو غيره[١٦٠].

وكذلك رد كثير منهم على الذين يقولون بجواز التوسل البدعي، وفنَّدوا شبهاتهم التي تمسكوا بها، يمكن ذكرها بشيء من الإجمال في ما يأتي:

---

(١٥٨) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، (باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا)، حديث رقم (١٠١٠): ٢٧/٢.

(١٥٩) ينظر: التوسل أنواع وأحكامه: ٤١.

(١٦٠) ينظر: تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس: ١٢٢.

أما تمسك المجيزين بقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (١٦١)، فقد رُدّ بأنّه لم يَفهم من هذه الآية أحدٌ ممن يُعتد بهم من السلف والخلف إلا المجيء إليه ﷺ في حياته ليستغفر لهم، وقد ذمّ الله من تخلّف عن هذا المجيء إذ ظلم نفسه، وأخبر أنّه من المنافقين، وذلك في قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (١٦٢)، وقد كانت عادة الصحابة مع النبي ﷺ أنّ الواحد منهم كان يأتيه متى ما صدر منه ما يستوجب التوبة، فيقول: يا رسول الله: فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، فيستغفر له، وكان هذا هو الفرق بينهم وبين المنافقين، ولم يُنقل عمن يُعتد به أنّ أحدا من الصحابة كان يأتي إلى قبره ﷺ بعد وفاته ويقول: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، ومن زعم حدوث ذلك فقد كذب على الصحابة والتابعين، بأنّهم تركوا هذا الواجب الذي ذمّ الله تعالى من تخلّف عنه، وجعل التخلّف عنه من علامات النفاق(١٦٣)!

وأما تمسكهم بقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٦٤)، فقد تمت الإشارة إلى أنّ المقصود بالوسيلة في الآية: التقربّ إلى الله تعالى بفعل أوامره، واجتناب نواهيه،(١٦٥) وأنّ ذلك إنما يكون باتباع نصوص الشرع، لا باتباع الهوى.

وأما ما تمسكوا به من أثر فتح الكوى فوق قبر النبي ﷺ إلى السماء للاستسقاء به، فقد ضعَّفه شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله: "وما رُوي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكوة من قبره إلى السماء لينزل المطر، فليس بصحيح ولا يثبت إسناده، وإنما نَقل ذلك من هو معروف بالكذب، ومما يُبيِّن كذب هذا أنّه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة، بل كان بعضه باقيا كما كان على عهد النبي ﷺ، بعضه مسقوف وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه، كما ثبت في الصحيحين... ولم تزل الحجرة كذلك

(١٦١) سورة النساء: ٦٤.

(١٦٢) سورة المنافقون: ٥

(١٦٣) ينظر: فتح المنان تتمة منهاج التأسيس، محمود شكري الألوسي: ١٠٨-١١٢، وصيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان: ٣٠-٣١.

(١٦٤) سورة المائدة: ٣٥.

(١٦٥) ينظر: منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس: ٣٤٩-٣٥٠.

حتى زاد الوليد بن عبد الملك في المسجد في إمارته لما زاد الحُجَر في مسجد الرسول ﷺ... ومن حينئذ دخلت الحجرة النبوية في المسجد... بُنى حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدار عال، وبعد ذلك جُعلت الكوة لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك لأجل كنس أو تنظيف، وأما وجود الكوة في حياة عائشة فكذبٌ بيِّنٌ، ولو صحّ ذلك لكان حجة ودليلا على أنّ القوم لم يكونوا يُقسمون على الله بمخلوق، ولا يتوسلون في دعائهم بميّت، ولا يسألون الله به، وإنما فتحوا على القبر لتنزل الرحمة عليه، ولم يكن هناك دعاء يُقسمون به عليه، فأين هذا من هذا؟!"(١٦٦).

وأما قياسهم التوسل بالذات على التوسل بالعمل الصالح، فقد رُدّ عليهم فيه من وجهين: أحدهما أنّ القياس في العبادات باطل، وأما الآخر فهو أنّه لم يقل أحد بجواز التوسل للمسلم بالعمل الصالح الذي صدر عن غيره، وإنّما التوسل المقصود إنما يكون بالعمل الصالح للمتوسِّل نفسه؛ وبهذا ينقلب عليهم دليلهم بأن يقال لهم: إذا لم يَجُز أن يَتوسل المسلم بالعمل الصالح الذي صدر عن غيره، فعدم جواز التوسل بذات ذلك الغير أولى(١٦٧).

وأما تمسّكم بأثر استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما، فقد سبقت الإشارة إلى عدم وجود مستمسَكٍ لهم فيه؛ حيث إنّه لم يتوسل بذات العباس رضي الله عنهما كما يزعمون، وإنّما توسل بدعائه إلى الله تعالى لصلاحه فيهم، وقرابته من النبي ﷺ(١٦٨).

وأما تمسكهم بالحديث المنسوب إلى النبي ﷺ: (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب، لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت فيَّ من روحك، رفعتُ رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحبّ الخلق إليّ ادعني بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتُك)(١٦٩) - فقد حكم عليه الشيخ الألباني بأنّه موضوع، فقال: "وقد اتفق - عند التحقيق - كلامُ الحفّاظ ابن تيمية والذهبي والعسقلاني على بطلان هذا

---

(١٦٦) الرد على البكري: ١/١٦٣-١٦٤.

(١٦٧) ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه: ١٣٦-١٣٧.

(١٦٨) ينظر: التوسل أنواع وأحكامه: ٤١، وتأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس: ١٢٢.

(١٦٩) المستدرك على الصحيحين: ٦٧٢/٢.

الحديث، وتبعهم على ذلك غير واحد من المحققين..."(١٧٠)، بالإضافة إلى مخالفته للقرآن الكريم؛ حيث تضمن أنّ الله تعالى غفر لآدم عليه السلام بسبب توسله بالنبي ﷺ، مع أنّ القرآن الكريم صريح في أنّ الذي قاله آدم عليه السلام هو قوله: قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٧١)، هذا فضلا عن مخالفة آخِر هذا الحديث الموضوع للنص القرآني في حكمة خلق الله تعالى لخلق آدم عليه السلام وذريته، وهو قوله: (ولولا محمد ما خلقتك)، مع أنّ الله تعالى يقول في ذلك: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (١٧٢)، فكل ما خالف هذه الحكمة الإلهية في إيجاد الخلق، أو زاد عليها، لا يمكن قبولها إلا بنص صحيح عن المعصوم ﷺ(١٧٣).

وأما تمسكهم بجواز التوسل بناءً على ما حصل لبعض الناس من فوائد عند توسلهم بأصحاب القبور، فيُردّ عليهم فيه بأنّ ذلك ليس دليلا على مشروعيته كما يظنون؛ إذ قد يكون هذا النفع المشاهد في حقيقته استدراج وفتنة من الله تعالى للمشركين والمبتدعين، جزاء وفاقا على إعراضهم عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، واتباعهم لأهوائهم(١٧٤).

وأما ما ادعاؤهم عدم جواز الحكم بشركية ممارسات عُبّاد القبور؛ بناء على أنّ ذلك سيؤدي إلى الحكم بكفر أكثر الأمة، فقد ردّ عليهم بأنّه ليس بحجّة؛ لأنّ هناك نصوصا كثيرة في القرآن والسنة تبيِّن عدم خيرية الأكثرين، من ذلك قوله تعالى: وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٧٥)، وقوله تعالى: وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١٧٦)، وقوله تعالى: مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

---

(١٧٠) التوسل أنواعه وأحكامه: ١٠٧.

(١٧١) سورة الأعراف: ٢٣.

(١٧٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(١٧٣) ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه: ١١٣-١١٥، ومنهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس: ٣٩١-٣٩٢.

(١٧٤) التوسل أنواعه وأحكامه: ٢٣، والبصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر: ٥١-٥٢.

(١٧٥) سورة يوسف: ١٠٣.

(١٧٦) سورة الأنعام: ١١٦.

(١٧٧)،وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ [(١٧٨)]، وأمثال هي الآيات كثيرة في كتاب الله تعالى، مما يعني أنّ المستدل بالكثرة على الحق بعيد عن الصواب[(١٧٩)].

وأما من السنة، فقد روي عن النبي ﷺ أنّه قال: ((بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء))[(١٨٠)]، وقوله ﷺ: ((يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر))[(١٨١)].

وللشيخ ابن القيم كلام نفيس بما يوضّح هذه المسألة، يحسن ذكره في هذا المجال، وهو قوله: "واعلم أنّ الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض، قال عمرو بن ميمون الأودي: صحبت... أفقه الناس عبد الله بن مسعود، فسمعته يقول: عليكم بالجماعة، فإنّ يد الله مع الجماعة، ثم سمعته يوما من الأيام وهو يقول: سيولى عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها؛ فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة، قال: قلت يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدّثون، قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضُّني عليها، ثم تقول لي: صلِّ الصلاة وحدك وهي الفريضة، وصلِّ مع الجماعة وهي نافلة؟ قال: يا عمرو بن ميمون: قد كنتُ أظنك من أفقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا، قال: إنّ جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك، وفي لفظ آخر: فضرب على فخذي وقال: ويحك، إنّ جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإنّ الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى.

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة، فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنّك أنت الجماعة حينئذ... وقد شذّ الناس كلّهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفرا

---

(١٧٧) سورة يوسف: ٤٠.

(١٧٨) سورة الأنعام: ١١١.

(١٧٩) تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان: ١١٦-١١٧.

(١٨٠) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، (باب بيان أنّ الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا)، حديث رقم (٢٣٢): ١٣٠/١.

(١٨١) سنن الترمذي، (أبواب الطهارة عن رسول الله ﷺ)، حديث رقم (٢٢٦٠): ٥٢٦/٤، وقال: "هذا حديث غريب من هذا الوجه"، وصححه الألباني.

يسيرا؛ فكانوا هم الجماعة، وكانت القُضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه كلّهم هم الشاذُّون..."[١٨٢].

فالحاصل أنّه لا تُعتبر كثرة الناس في إثبات الحق لأهله، وإنما المعتبر في ذلك موافقة ما عليه أولئك الناس من الدّين للكتاب والسنة ونهج السلف الصالح، فهما - أعني الكتاب والسنة - حبل الله المتين، والعروة الوثقى التي لا يضل من تمسك بهما أبدا؛ فتبيّن من ذلك أنّ المقصود بالسواد الأعظم في الأخبار أهل الحق الذين استقاموا على ما عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان[١٨٣].

الخاتمة :

وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث :

١- على الرغم من أنّ المناوئين للدعوة السلفية قد استعملوا عدة أساليب لتشويهها، فقد كانت وسيلة التأليف من أقوها استعمالا؛ لكونها من أنجع الوسائل الإعلامية منذ القدم إلى وقتنا الحاضر.
٢- لقد تنوعت أساليب المناوئين للدعوة السلفية في كتبهم، ولكن يغلب عليها طابع الشتم، واللعن، وإطلاق الافتراءات بلا دليل.
٣- الصفة الغالبة على هذه الكتب المناوئة هي عدم اتباع أصحابها للموضوعية في التأليف؛ فتجد اللاحق ينقل عن السابق دون تحقيق، مع أنّ علماء الدعوة السلفية - الذين يتهمهم المناوئون في كتبهم - ينكرون تلك الاتهامات، ويبيِّنون حقيقة مذهبهم.
٤- كما أنّه يُلاحَظ على معظم هذه الكتب المناوئة أنّ أصحابها يتعمّدون تحريف أقوال علماء الدعوة السلفية، وغالبا ما يُلزمونهم بلوازم لا علاقة لمذهبهم بها، ثم يحكمون عليهم من خلالها.
٥- لقد تبيّن من خلال هذا البحث أنّ كثيرا من التّهم التي ألصقها المناوئون بعلماء الدعوة السلفية كذب وافتراء، وقد تم إثبات ذلك ببيان حقيقة مذهبهم في القضايا التي اتُّهموا فيها، مع نقل أقوالهم قدر الإمكان.
٦- إنّ معظم الشّبهات التي تشبَّث بها المناوئون في كتبهم، لا تثبت أمام الأدلة الصريحة التي يستدل بها علماء الدعوة السلفية في ما ذهبوا إليه من المسائل.
٧- وأخيرا، فلم يكن بغريب أن نجد في مثل هذه الكتب الشتائم واللعان في حق علماء الدعوة السلفية؛ حيث لم يكن لهم سلاح أقوى من ذلك، وهو أسلوب الضعفاء عندما يعجزون عن مواجهة الخصم بالحجة والدليل.

---

(١٨٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ٣٠٨/٣.

(١٨٣) ينظر: تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان: ١٢٣.

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم.
١- الإتحاف في الرد على الصحاف، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ (ت: ١٢٩٣ه)، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله آل حمد، ط١، ١٤١٦ه-١٩٩٥م، دار العاصمة.
٢- أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها، ط١، ٢٠٠٨م، دار السنة للنشر.
٣- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦ه)، ط٥، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين.
٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم (ت: ٧٥١ه)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥- بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ط ١٤٠٣ه-١٩٨٣م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
٦- البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر، حمد الله الداجوي، ط ١٤٣٨ه-٢٠١٦م، مكتبة الحقيقة، استانبول - تركيا.
٧- تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، تحقيق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، ط١، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
٨- تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان، صالح بن محمد بن حمد الشثري، تحقيق: د. محمد بن ناصر الشثري، تقديم: د. صالح بن فوزان الفوزان، ط١، ١٤٢١ه-٢٠٠٠م، دار الحبيب، الرياض.
٩- تاريخ الشعراء الحضرميين، عبد الله بن محمد بن حامد السقاف العلوي، ط١٣٥٧ه، مطبعة الرشديات.
١٠- تحقيق الكلام في المسائل الثلاث (الاجتهاد والتقليد، السنة والبدعة، العقيدة)، عبد الرحمن بن يحيى المُعَلِّمِيّ اليماني (ت: ١٣٨٦ه)، تحقيق: علي بن محمد العمران وزميله، دار عالم الفوائد.
١١- تعريف الأنام في التوسل بالنبي وزيارته عليه الصلاة والسلام، أبو عبد الله محمد بن الحاج، مراجعة وتقريظ: الشيخ محمد عبد الفتاح العناني، ط١، ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م، دار المصطفى.
١٢- تكفير الوهابية لعموم الأمة المحمدية، أ.د. علي مقدادي، وقفية الأمير غازي للفكر القرآني.
١٣- تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، ط١، ١٤١٨ه-١٩٩٧م، دار ابن حزم، بيروت - لبنان.

١٤- التوسل: أنواعه وأحكامه، محمد ناصر الدين الألباني، تنسيق: محمد عيد العباسي، ط١، ١٤٢١ه-٢٠٠١م، مكتبة المعارف، الرياض.
١٥- تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدّين شرف النووي (٦٧٦ه)، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مجلة البيان، السعودية.
١٧- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته، أ. د. سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، ط١، ١٤١٩ه-١٩٩٩م، فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية.
١٨- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، أحمد بن زيني دحلان (١٣٠٤ه)، ط١٤٤٠ه-٢٠١٨م، مكتبة الحقيقة، استانبول، تركيا.
١٩- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٦، ١٤١٧ه-١٩٩٦م.
٢٠- الدرر السنة في الرد على الوهابية، أحمد زيني دحلان، اعتنى به: د. جبريل حدّاد، ط١، ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م، مكتبة الأحباب.
٢١- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، ط ١٤٠٩ه-١٩٨٩م، دار طيبة.
٢٢- دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد منظور النعماني، تعريب: نور عالم الأميني الندوي، ط١٤٠٠ه-١٩٨٠م، مكتبة الفرقان.
٢٣- الرد على البكري، ابن تيمية، تحقيق: محمد علي عجال، ط١، ١٤١٧ه، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة.
٢٤- الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر (نصوص الغرب الإسلامي نموذجا)، حمدي الرّديسي وزميتله، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٢٥- الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، محمد بن عبد الوهاب (ت:١٢٠٦ه)، تحقيق: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان وزميله، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.
٢٦- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (ت: ٢٧٥ه)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
٢٧- سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٨- سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله الدامي (ت: ٢٥٥ه)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط١، ١٤١٢ه-٢٠٠٠م، دار المغني، السعودية.
٢٩- سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.

٣٠- شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، د. صالح بن فوزان الفوزان، ط٣، ١٤٣١ه، مكتبة دار المنهاج، الرياض.
٣١- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ١٤٢٢ه، دار طوق النجاة.
٣٢- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٣- الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية، سليمان بن عبد الوهاب (ت: ١٢١٠ه)، تحيق وتعليق: السّراوي، ط١، ١٤٢٠م، دار الهداية، تهران.
٣٤- الصواعق والرعود، عبد الله بن داوود الزبيري (١٢٢٥ه)، تحقيق: د. عبد الله بن راشد المُضري، ط١، ٢٠٢٢م، مكتبة الجابي، بلفاست - إيرلندا.
٣٥- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، محمد بشير السهسواني الهندي (ت: ١٣٢٦ه)، تعليق: الشيخ إسماعيل الأنصاري، ط٥، ١٣٩٥ه-١٩٧٥م.
٣٦- علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام، ط٢، ١٤١٩ه، دار العاصمة، الرياض.
٣٧- مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ط١، ١٣٩٢ه-١٩٧٢م، دار اليمامة، الرياض.
٣٨- علماء نجد في ستة قرون، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام، ط٢، ١٤١٩ه، دار العاصمة، الرياض.
٣٩- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، د. صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود، ط١٤١٧ه، دار الغرباء، المدينة المنورة.
٤٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١٣٧٩ه، دار المعرفة، بيروت.
٤١- فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان، الشيخ زيد بن محمد آل سليمان (ت: ١٣٠٧ه)، تقريظ: الشيخ محمد بن سليمان آل سليمان، تحقيق: عبد الله بن زيد بن مسلَّم آل مسلَّم، ط١، ١٤٢٦ه، دار التوحيد، الرياض.
٤٢- كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام، سليمان بن سحمان، ط١، ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م، دار أضواء السلف، الرياض.
٤٣- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، حسن بن جمال بن أحمد الرِّكي، دراسة وتحقيق: أ.د. عبد الله الصالح العثيمين، ط١٤٢٦ه-٢٠٠٥م، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.
٤٤- مجلة المنار، محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤ه)، مصر.
٤٥- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (ت:١٢٩٣ه)، ط١، ١٣٤٩ه، دار العاصمة، الرياض، السعودية.
٤٦- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥ه)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١١ه-١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٧- مصباح الأنام وجلاء الظلام في ردّ شبه البدعي النجدي الذي أضلّ بها العوام، علوي بن أحمد الحداد، ط١٤٣٥ه-٢٠١٤م، مكتبة الحقيقة، استانبول - تركيا.
٤٨- معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة (ت: ١٤٠٨ه)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٤٩- المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية، القاضي إسماعيل التميمي (١٢٤٨ه-١٨٣٢م)، تقديم وتحقيق: د. أحمد الطويلي.
٥٠- منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٩٢ه)، ط٢، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م، دار الهداية، الرياض.